

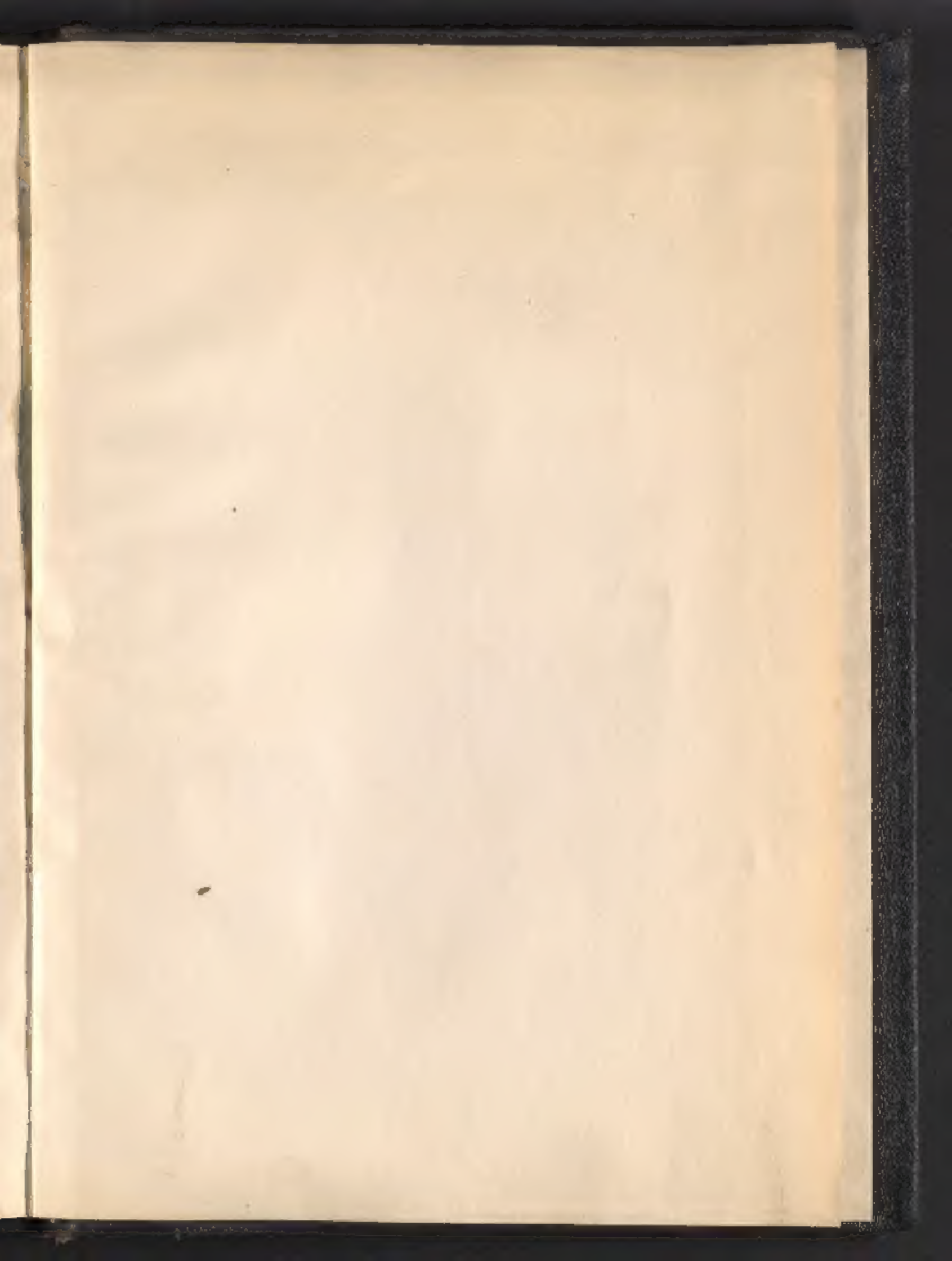
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01043 3393

HE
19
19
19

30:01-62258

26-4





دراسات في التاريخ الاقتصادي للدول الإسلامية

HE
197
I8
A9X
1948

"المآصر"

في

بلاد الروم والإسلام

تأليف

"ميخائيل عواد"

مطبعة المعارف — بغداد

١٩٤٨

٣٨٦
٢٠٢٤

حقوق الطبع والترجمة
محفوظة

36729

المقَدِّمَةُ

كُنّا نشرنا فصول هذا الكتاب في تسعة أجزاء من المقتطف ، ظهرت في سنة ١٩٤٤ و١٩٤٥ . ثمّ عدنا إلى هذه الفصول بعد نشرها ، بالزيادة والتهديب ، فقام من ذلك هذا الكتاب الذي تقدّمه اليوم للقراء .

يتناول هذا البحث أموراً خطيرة الشأن في التاريخ الاسلامي : فهو يبحث في تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الأدنى ، وشمال إفريقيا . وتتجلى فيه صفحة مجيدة من تاريخ الأسطول الاسلامي . ويعطف على أبحاث تمتّ بصلة وثيقة إلى الضرائب والمشور في العصور الاسلامية .

ثم إنّ هذا الكتاب ، إلى ذلك كلّه ، بحث في الحروب الصليبية ، وفي الفتوحات الاسلامية .

لقد استندنا في كتابة هذا الموضوع إلى أوثق المصادر وأصدقها فلم نورد قولاً ما لم ندمه بسند تاريخي .

محمّد باقر عواد

(بغداد)

تصدير

من يطالع التصانيف العربية القديمة ، وخاصة ما وضعه وُصاف البلدان
وَمَن طَوَّف في الأصقاع ، يجد أموراً شتى ، تتطلب منه الوقوف والتريث ، لما
لها من خطر ، وذلك استجلالاً لمعانها التي كادت تخفى علينا الآن لبعد العهد
بها ، واستيضاحاً لما كانت عليه في تلك العصور الخوالي .

ونذكر أننا وقفنا منذ سنين على شيء من هذا القبيل ، يتعلق بضرب
من المطاحن المائية ، كان يطلق عليه في العصور الإسلامية اسم « العُروب » ،
فراءنا أن نستقصي ما ورد عنها في كتب الأدب والتاريخ والبلدان ، فحصل
لنا من ذلك شيء وفير ، مكنتنا من وضع بحث فيها ونشره^(١) .

وسنشر بحوثاً من هذا القبيل ، توضح ما جاء في تلك المؤلفات من مثل
هذه المصطلحات والأوضاع التي كانت يوم ذاك أمراً مفهوماً معروفاً بين أكثر
الناس ، ثم تغيرت الأحوال فخفي معناها واستبهم مدلولها أو كاد .

وها نحن أولاء نبعث في ناحية لا نظن أن أحداً من السكتية المحدثين
قد طرق بابها ، نغني بها « المأصر » النهرية والبرية والبحرية ، فنقول :

كان مما أعني به أولئك البلدان ، الثغور المتوسدة سواحل البحار ،
فوصفوها بما أوتوه من علم ومعرفة ، وخصوا موانئها بقسط وافر من هذا
الوصف ، تلك الموانئ العجيبة التي كانت تخرج بالسفن الذاهبة والقادمة والراسية .
ولا عجب من قول بعضهم في صفة ميناء أطرابلس ، بأنه « ميناء عجيب يحتمل
ألف مركب^(٢) » ، وإن « المراكب تخط فيه ليلاً ونهاراً ، وترد بالتجارة على

(١) العروب في العراق : (الرسالة ، العدد ٣٦٠ ، ص ٨٩١ - ٨٩٦) .

(٢) البلدان للبيهقي (ص ٣٢٧ طبعة دي غوييه ، لندن) .

من الأوقات والساعات صباحاً ومساءً ، من بلد الروم وأرض المغرب بضروب
الامتنعة والمطاعم ^(١) .

وأهم ما يسترعى الاهتمام في كثير من هاتيك الموانئ ، وجود « سلسلة » ضخمة
من الحديد تقترض الميناء فتعده من جهة البحر ، رسخ أحد طرفيها في صخرة
مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ، وربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع وضع
داخل برج مطل على الميناء من جهته الثانية . ويجلس في البرج المذكور
شخص يطلق عليه اسم « صاحب القفل » بيده الأمر والنهي في خروج
السفن من الميناء ودخولها إليه . فيعمل على رفع السلسلة ، أو على خفضها .

وشبه بهذا ، ما كان يجري في بعض الأنهار ، غير أنه كثيراً ما استبدلت
السلاسل بالقلوس ، والأبراج بالسفن النهرية كما سيجيء تفصيله .

ويطلق على هذه كلها « المآصر » ، وكانت الثغور ذات المآصر تتمتع من
جهة البحر ، بسلام لا يضارعهما فيه إلا تلك المدن التي تحيطها الأسوار ويحرسها
الحراس ، فالـمآصر إذن ، الحصن الحصين لبعض الموانئ وسدّها المنيع ، تدفع
به عنها كل غزو يأتيها من جهة البحر .

وكانت الضرائب والعشور نجح عند هذه المآصر على كل مال وطعام
وحيوان وغير ذلك مما يدخل البلاد أو يخرج منها ، على ما سنبيته في مطاوي
بحثنا .

(١) صورة الأرض - المسالك والممالك - لابن حوقل (ص ٦٩ ، طبعة كرموز)

ليدن (١٩٣٨) .

الباب الاول

المآصر النهرية في العراق

أ - المآصر في كتب اللغة وما إليها

يعتبر الصحاح للحوهري (المتوفى سنة ٣٩٣ للهجرة) من أقدم المعاجم التي ذكرت المآصر . فقد قال في مادة (أ ص ر) ما نصه : « أصر : أصره بأصره أصرأ حدسه ، والموضع مأصر ومأصر . والجمع مآصر ، والعامة تقول مآصر »^(١) .

ويقول الراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ) في مادة (أ ص ر) : الأصر ' عقد الشيء وحدسه بقره ، يقال أصرته فهو مأصور ، والمآصر والمأصر محبس السفينة »^(٢) .

وسمى عليها الحريري (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) بقوله : « ويقولون لمركز الصرائب »^(٣) : المآصر بهتج الصاد ، والصواب كسر ها ، لأن معناه الموضع الخائس للعار عليه ، العاطف للمجتاز به . ومن ذلك اشتقاق أوامر القراية والعهد لأنها تعطف على ما يجب رعايته من الرحم والمودة .. »^(٤) .

وفي أساس البلاغة للزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) في مادة (أ ص ر) أيضاً قوله : « ومصى فلان إلى المآصر وهو مفعول من الأصر ، أو ماعل

(١) الصحاح (١ : ٢٨٠ بولاق) .

(٢) المقدرات في غريب القرآن (ص ١٧ ، المطبعة الميمنية) .

(٣) في المطبوع « الصرائب » وهو تحريف ظاهر .

(٤) درة العوام في أوامير الخواص ، للحريري (ص ٧١ ، طعة الخواص) .

وأكمل الحفافي (المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ) على « الأصر » في « شرح درة

العوام » : (ص ١٥٦) .

من المَصْر بمعنى الحاجر . ولعن الله أهل المَآصر أو المواصر^(١) .
وحاء ابن منظور (المتوفى سنة ٥٧١١ هـ) ، فأوضح لنا عن أمور لم يذكرها
من سبقه من أرباب اللغة . قال في مادة (أ ص ر) ما هذا بحروفه ، بترك ما لا
حاجة لنا به في موضوعنا : « والمآصر هو مأخوذ من آصره العهد ، إنما
هو عهد ليحبس به . » السكسائي : أصرني الشيء ، بأصرني أي حبسني ،
وأصرت الرجل على ذلك الأمر أي حبسته ، ابن الأعرابي أصرته عن حاجته
وعملاً أردته أي حبسته . والموضع مأصر ومأصر ، والجمع مآصر ، والعامية تقول
مماصر .. ، والمآصر بعد على طريق أو نهر تؤصر به السفن والسابلة ، أي
يحبس لتؤخذ منهم العشور^(٢) .

أما الفيروز آبادي (المتوفى سنة ١٢١٧ هـ) فقد أشار إليها في مادة (أ ص ر)
إشارة خفيفة بقوله : « والمآصر كحبس ومرقد : المحبس . ج : مآصر ، والعامية
تقول معاصر ... »^(٣) .

وتلاه السيد مرتضى الزبيدي صاحب التاج (المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ)
مذكراً أيضاً في مادة (أ ص ر) مأخوذاً أقوال بعض من تقدمه ، قال^(٤) :
« والمآصر مفعول من الأصر أو فاعل من المَصْر بمعنى الحاجر . ولعن المآصر ،
هكذا في الأساس ولم يفسره ، وفي اللسان : والمآصر بعد على طريق أو نهر
يؤصر به السفن والسابلة أي يحبس ليؤخذ منهم العشور ... » .

قال نصر الموريني في تعليق له على ما جاء في التاج : « ولعن المآصر ، كذا
بخطه ، والذي في الأساس : ولعن الله أهل المآصر أو المواصر . وقوله : ولم
يفسره تفسيره ، هو ما ذكره عقبه عن اللسان » .

(١) أساس البلاغة (١ : ١٤٠) ، طبع دار الكتب المصرية .

(٢) لسان العرب (٥ : ٨٠ - ٨٢) ، بولاق .

(٣) القاموس المحيط (١ : ٣٦١) ، بولاق ، الطبعة الثانية سنة ١٣٠١ هـ .

(٤) تاج العروس (٣ : ١٥) .

وقد بـتـها أبو منصور موهوب الجواليقي (المتوفى سنة ٥٣٩ هـ) إلى خطأ
شائع في لفظ المأصر ، وقع فيه أكثر اللغويين الذين نظروا إلى ذكرها ،
فقال : « وهو المأصر بكسر الصاد ، وفتح خـطـأ . ومعنى مأصر في اللغة
الموضع الخائب من قولهم : أصرت فلاناً عن الشيء ، أصره أصراً إذا حسسته
عليه وعطفته » (١) .

ومن ذكرها أيضاً أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي
(المتوفى سنة ٥٣٨٧ هـ) . قال في تعريفها : « المأصر سلسلة أو حبل يشد
معتزلاً في النهر ، يمنع السمن من المضي » (٢) .

هذا ، وقد نسب إلى المأصر نهر من النـهـر . قال القاضي أبو سعد
عبد الكريم السمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢ هـ) في مادة (المأصري) : « بفتح
الميم والصاد (كذا ، والصواب الصاد) المكسورة بينهما الألف وفي آخرها
الراء . هذه النسبة إلى مأصر . وسأذكر السبب فيه . والمشهور بهذه النسبة أبو
بشر يونس بن حبيب بن عبد الماهر بن عبد العزيز بن عمر بن قيس بن أبي مسلم
العجلي المصري ، كان له محل عظيم . كان له لمعة بالله كنة ، باسطر في أمر متظلم
تظلم إليه . وهو ابن اخت حبيب بن الزبير الذي روى عنه شعبة وكان ينزل المدينة .
وكان أبو مسلم من سبي الديلم ، سباه أهل الكوفة ، وحسن إسلامه فولد له
قيس المأصر ، ويقال إنه مولى لعلي بن أبي طالب ، ثم ولأه المأصر ، وكان
أول من مصر (كذا ، والصواب مأصر) القراء و حلة ، فهي قيس (كذا ،
والصواب قلنس) المأصر ، والنسبة إليه مأصري . وكان ممن خرج مع
عبد الرحمن بن الأشعث أمام الحجاج مع القراء ، فمأهرم ابن الأشعث هرب
عبد العزيز وعمر بن قيس مع أهله إلى أصبهان ، وأقام عمر بن قيس المأصر

(١) نكتة اصلاح ما تفلظ فيه العامة (ص ٤٨ ، طبع دمشق ١٩٣٦) .

(٢) مفاتيح العلوم (ص ٧٠ ، طبعة فان فلورن ، لندن ١٨٩٥) .

بالسكوفة . ، فهذه قصّة قيس المأصر ، وأما أبو بشر يونس بن حبيب ...
قلت : توفي قبل الثمانمائة . (١)

واختصر هذا الكلام جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ)
فقال : « الماصري بكسر الميم المهمل وراء ، الى قيس المأصر ، لأنه أول من مصر
(كذا ، والصواب مأصر) العرات ودجلة » (٢) .

هذا جل ما وقفنا عليه بشأن المأصر في الاسفار اللغوية القديمة ، وأما
ما جاء عنها في المعاجم الحديثة ، فلا يعدو أن يكون تكراراً لما سبق ، لأنه في
الحقيقة منقول برأيه عن هانيك التصانيف القديمة ، ومن ثمة اكتفينا بالإشارة
الى ذلك دون أن نعد الى ايراد ما جاء فيها (٣) .

(ب) المأصر في كتب البلدان :

ان أفصح الأنداء التي اتصلت بنا بصدد المأصر النهرية ، ما أخبرنا به ابن
رسته (الذي صنف كتابه في سنة ٢٩٠ للهجرة) ، في كلامه على الطريق بين
بغداد والبصرة ، فقد أوضح لنا ماهيتها ، وشرح طريقة استخدامها ، ودونك
ما قاله : « من بغداد الى المدائن . ومن المدائن الى دير العاقول ، ومنه الى
جرجاريا ، ومنه الى جبيل ، ومنه الى قم الصالح ، ومنه الى واسط ، ومنه
الى نهرين ، ومنه الى الصبيصة ، ومنه الى الحوانيت ، ومنه الى القطر .
وهذه القرى من واسط الى هذا الموضع كلها شرقي دجلة . وبالحوانيت (٤)

(١) الأنساب (ظهر الورقة ٥٠٢ طبعه سرجليوت ، لندن ١٩١٢) .

(٢) لب الباب في تحرير الأنساب (ص ٢٣٤ طبعه قات ، لندن سنة ١٨٤٠) .

(٣) أطر مثلاً : محيط المحيط لبطرس البستاني (٢٥ : ١) ، قرب الموارد لمعبد الشرتوني

(١٢ : ١) ، البستان لمداينة البستاني (٤٤ : ١) ، دائرة معارف القرن العشرين

محمد ابريد وحدي (١ : ٣٨٤ ، مادة مأصر) ، معجم لين :

(Lane : Arabic-English Lexicon. Vol. I., London, 1863, P 63).

(٤) ذكرت الحوانيت في : المسالك والممالك لابن خردادبه (ص ٥٩ طبعه دي عوي .

لندن ١٨٨٩) ، وتاريخ الطبري (١٨٥٨ : ٣) ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ =

أصحاب السيارة^(١) والمأصر من قبل السلطان . والمأصر أن تشد سفينتان من أحد جانبي دجلة وسفينتان من الجانب الآخر ، وتشد السمن على شطرين . ثم تؤخذ قلوب^(٢) على عرض دجلة وتشد رأسها إلى السمن لثلاث تجوز السمن بالليل^(٣) .

وقد ذكرها ابن رسته في موطن آخر من كتابه بقوله : « وبدير المافول مسجد جامع وأسواق ومآصر ، وبها أصحاب السيارة ومآصر على دجلة » .^(٤)

(ج) المآصر في كتب التاريخ :

يعد أسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف بـ « بحش » (المتوفى سنة ٢٨٨ هـ) من أقدم المؤرخين الذين نوهوا بأخبار بعض المآصر النهرية ، فقد حدثنا عن المآصر الذي نصريين^(٥) واسط ، وهو المشهور في التاريخ باسم « المآصر الأسفل » وقد اتخذت فيه السلاسل بدل القلوب ، وكان الأمير المعروف بـ « مسروق » أشهر من أشرف على أعمال هذا المآصر . واليثة جملة ما ذكره بحش شأنه . قال : « حدثنا أسلم ، قال : حدثنا عمرو بن صالح ، قال : حدثنا هشيم عن مجاهد عن الشعبي ، قال : بعث ريار مسروقاً على السلسلة .

« حدثنا أسلم ، قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا حصص بن غياث

== ١٩٠٦ ، ١٩١٧ ، ١٩٢٢ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ طبع ليدن) ، وحدث الأقدم السبعة لسهراب (ص ١١٨ ، طبعة هنريك ، سنة ١٩٣٠ == ص ٩ من طبعة استرغ في المجلة الاسوية البريطانية سنة ١٨٩٥) .

(١) السيارة . والأشهر في تسميتها « الشبارة » ، ضرب من السفن النهرية أيام العباسيين . وقد أسهبنا في ذكر أخبار « الشبارة » وغيرها من ضروب السفن النهرية والبحرية الوارد ذكرها في هذا الكتاب ، في مؤلف عنوانه « السفن والمراكب في العصور الإسلامية » ، وهو تأليف كاتب هذه السطور وأخيه كوركيس عواد .

(٢) قلوب : راجع « أدب الأول » .

(٣) الأعلام النبيلة (ص ١٨٤ - ١٨٥ ، طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٩٢) .

(٤) الأعلام النبيلة (ص ١٨٦) .

(٥) أنظرها في معجم البلدان (٣ : ٣٨٦ ، طبعة وسفيلد في لينك) .

عن الأعمش عن أبي وائل ، قال : أفت مع مسروق بسلسلة واسط سنتين .
 « حدثنا أسلم ، قال : حدثنا وهب بن بنية ، قال : حدثنا حماد بن أسامة
 عن الأعمش عن أبي وائل ، قال : كنت مع مسروق بسلسلة واسط ، فموت
 سفن فيها هدايا إلى معاوية .

« حدثنا أسلم ، قال : حدثنا سميد بن يحيى بن الأزهر ، قال : حدثنا
 حمص عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق ، قال : كان مسروق لا يفتش
 أحداً ويقول لمن مر به : إن كان لنا منك شيء فاعطناه .

« حدثنا أسلم ، قال : حدثنا ركريا بن يحيى ، قال : حدثنا عباد بن عباد عن
 عاصم ، قال : كنت بالشعي كيف أقلت مسروق من عمله على السلسلة ؟ قال : أما رأيت
 الثوب يدفع إلى القصار فيفسله فيجيد غسله . هكذا أقلت مسروق من عمله .
 « حدثنا أسلم ، قال : حدثنا الحسين بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن
 علي ، قال : حدثنا شمة عن ابن (لعنه . أبي) اسحاق عن أبي وائل ، قال :
 كنت مع مسروق بالسلسلة . فم رأيت أميراً قد كان أعف منه ما كان يصيب
 ماء دجلة .

« حدثنا أسلم ، قال : حدثنا اسحاق بن داود ، قال : حدثنا الحسين بن
 الربيع ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد ، قال : بعث
 زياد مسروقاً على السلسلة ، ثمة بعشرين ألفاً . فقال : ما جئت به ؟ قال :
 جئت بعشرين ألفاً . قال : هي لك . فلم يقبلها .

« حدثنا أسلم ، قال : حدثنا ركريا بن يحيى ، قال : حدثنا شريك عن أبي
 اسحاق والأعمش أراه عن إبراهيم . قال : أقام مسروق بالسلسلة سنتين .
 « حدثنا أسلم ، قال : حدثنا نعيم بن المنصور ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ،
 قال : حدثنا حميد الطويل عن عبد الله بن حبيب وكان شريك مسروق على
 السلسلة .

« حدثنا أسلم ، قال : حدثنا محمد بن اسماعيل بن سالم ، قال : حدثنا يحيى
 بن أبي بكر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : حدثني عبد الملك بن ميسرة ، قال :

سمعت زياداً وكان داهية وكان عشاراً ، وكان المشارون يومئذ القراء مسروق
ورياد بن حدير^(١) .

وذكر أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفى سنة ٣٣٥ هـ) ، في حوادث
سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) ، انه « عمدت الشرقية^(٢) وما فيها من الاعمال على
أحمد بن جعفر المعروف بالشرطي ، بثمانية آلاف سوى الاستقضاءات فانها
خمسة آلاف درهم . وصممت دجلة والمأصر الاعلى بخمسمائة دينار ، وعقد القيار
بألفي درهم ، فصار الجميع نيفاً وثلاثين ألف درهم في الشهر^(٣) .

وعلى ذكر المأصر الاعلى ، حكى مسكويه (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) في حوادث
سنة ٣٩٠ هـ (٩٧٠ م) ، عند كلامه على ارتفاع ابن بقيه . قل : « كان هذا
الرجل (ابن بقيه) من القرية المعروفة بأوانا^(٤) ونشأ في أيام الفتنة وغلبه
أهل الرستاق على طريق دجلة العليا . وكان حري راسمه بتقليد المآصر ، واتفق
له أن اندل بصاحب مطبخ معمر الدولة المعروف عمله وكان صامساً لتكرت وما
يجري معها من المآصر العليا وأبواب المدل ، فصار حرم عمله توحه معه وحف
على قلبه ، فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها ووصفها
اليه ... »^(٥) .

والظاهر من هذا ، أن المآصر العليا هي التي كانت مبنوثة ما بين بغداد
وتكرت - وربما نعدت البلدة الاخيرة - ، تقطع دجلة في عدة مواطن ،
لكن أشهرها في التاريخ هو المأصر الاعلى في بغداد . وقد ذكره أبو العرج

(١) تاريخ واسط (الورقة ٦ - ٧ من النسخة المصورة في خزانة كتب ادب العراق) .

(٢) هي على ما في معجم البلدان (٣ : ٢٧٩) : « محلة بالجانب الغربي من بغداد ... ميل
٥ . الشرقية لانها في شرق مدينة المنصور ، لا لانها في الجانب الشرقي » .

(٣) احبار الراضي باقة والتقية ، وهو الجزء الثاني من كتاب الأوراق (من ٢٧٦ ،
طبعة هيورت دن ، القاهرة ١٩٣٥) .

(٤) أو : « بليدة كانت من نواحي دجيل بغداد » بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من
جهة تكريت .

(٥) تجارب الامم (٦ : ٢٨٥ ، طبعة آندروز . القاهرة ١٩١٥) .

ابن الجوزي غير مرة . قال في أحداث سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) : « فن
الحوادث فيها عود العيارين الى الانتشار ومواصلة الكبسات بالليل والمهار ،
ومضى البرجمي ^(١) الى العامل على الماصر الاعلى بقطيعة الرقيق ^(٢) ، فقرر معه
أن يعطيه في كل شهر عشرة دنانير من الارتفاع ويطبقوا له سميرتين ^(٣) كيرتين
بغير اعتراض ، وأخذ عهده على مراعاة الموضع ... » ^(٤) .

وها هو ذا يعود إلى ذكر هذا الماصر الشهير عند كلامه على الحسن بن
أبي جعفر الملقب بـ « عميد الجيوش » الذي حدم صمصام الدولة وجاهها ،
« وولاه بهاء الدولة تدبير العراق ، فقدم سنة اثنتين وتسمير وثلاثمائة (١٠٠١ م)
والفتن كثيرة ، والدُّعار قد انتشروا ، فقتل وأغرق قطعاً كثيراً » ، وقد جاء
في عدله وهيئته حكايات . منها انه « أعصى بعض علمائه صينية فضة فيها دنانير ،
وقال : خذها على رأسك ، وصر من النجسي ^(٥) إلى الماصر الاعلى ، فأت
اعتصمك معترض فاعطه إياه واعرف الموضع الذي أخذت منك فيه . فجاءه وقد
انصف الليل ، وقال : قد مشيت السلا جيمه فم يلقى أحد » ^(٦) .

ونعود الى قول مسكويه في الماصر . وقد نبه عليها أيضاً عند كلامه على
حوادث سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) بقوله : « وإنما امتعضت (ليريدني يتكلم)
لكم من ظم ابن رائق ومحمد بن يرداد خليفته لكم ، وتحملت في مالي اربعة
آلاف دينار في كل شهر باراء ما كان يؤخذ من الشرطة والمأصير والشوك
تحقيقاً عنكم ، وقد أزلت جميعها ، وهذا خطي برفعها عنكم ... » ^(٧) .

(١) البرجمي : أنظر « الدليل الثاني » .

(٢) قطيعة الرقيق : أنظر « الدليل الثالث » .

(٣) الواحدة : سميرة ، جمعها : سميريات : ضرب من السم الدهرة أيام احمد بن .

(٤) المنتظم (٨ : ٧٧) .

(٥) النجسي : أنظر « الدليل الرابع » .

(٦) المنتظم (٧ : ٢٥٢ - ٢٥٣) . وقد من هذه الرواية ابن عمري مردي في الجوامع

الزاهرة (٤ : ٢٢٨) طبع دار الكتب المصرية .

(٧) نجات الامم (٥ : ٣٦٤) .

وابن رائق هذا ، هو الذي وضع المآصر ببغداد ، فقد زاد صاحب
 التكملة^(١) على قول مسكويه^(٢) ، الكلام التالي : « وهو الذي وضع المآصر
 (المآصر) ببغداد ، وما كانت سمعت بالصرايب من قبله »^(٣)
 ويقتل ابن رائق هذا في أمر المآصر يقرب من فعل « ابن الهاروني » ،
 فقد كان كلاهما يتصرف في أمر استيفاء الدراهم من المآصر والمكوس ، ويشغل
 كامل الناس بما لا طاقة لهم به . فقد حكى ابن الجوزي في أحداث سنة ٥٣٠ هـ
 (١١٣٥ م) ، ان « هذا الملعون ابن الهاروني قصده إساءة السمعة وهلاك
 المسلمين ، وهو السب في جميع ما جرى . فقص على ابن الهاروني يوم الخميس
 ثامن عشر (شهر) ربيع الاول ، وجاء رسول زنكي فلى الخليفة (ارشد بالله) ،
 وشكا مما جرى من ابن الهاروني وتأثيراته في المكوس والمواصر ، وقال :
 الخادم يسأل أن يسلم اليه ليتقرب الى الله بدمه ، فقبل له نذير في ذلك ثم تقدم
 في نكرة الأحد حادي عشر من الشهر الى أنى الكرم الوالى « مثله » فقتل في
 الرحبة وصلب على حشمة قصيرة ، ومثل به العوام ، فمما حين الليل أخذه أهله
 وغفوا أثره ، وطهرت له من الأموال والأثاث وأواني الذهب والفضة أمر عظيم ،
 ووصل إلى الخليفة من ماله مائتا ألف ، وكانت له ودائع عند القضاة
 والتجار »^(٤) .

(١) هو محمد بن عبد الله الحمدي (المتوفى سنة ٥٢١ هـ) ، له مذكرات تاريخ اطري .
 انظر : تجارب الامم (٥ : ٥٠٠ ، حاشية ١) ، والمنظم (١٠ : ٨٠٠ ، حوادث سنة
 ٥٥٢١) ، والاعلان بالورع لمن دما تاريخ السجاي (ص ٤٤ ، طبعة دمشق ١٩٣٠) .
 (٢) قال مسكويه (تجارب الامم ٥ : ٣٨٣) : « ... وصار موسى يبادء الى حصن
 مهدي فذكرها ، وكانت من أعمال البصرة ، وصارت الأسافل وراة » ودخل الأمير
 سوق الاهواز فزل دار أبي عبد الله البريدي وانتظمت له الامور ، وحصل البريدي
 بالبصرة واستقام لهم ، واستقر بحكم بواسط يتازع الملك ببغداد ، وجم ابن رائق
 أطرا له وأقام بها » .

(٣) تجارب الامم (٥ : ٣٨٣ ، حاشية ١) .

(٤) المنظم (١٠ : ٥٦) .

وهكذا يجد المرء في حوادث السنين انشاء في وضع المكوس والمآصر
واقرارها واستيفاء الدراهم منها ، او اسقاطها وارالتها من عالم الوجود
فقد كان من جملة حوادث سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ، ان « أعيدت
المكوس والمواصر ، والرم الناعة »^(١) يرفعوا إلى السلطان تلي ما يأخذونه
من الدلالة في كل ما يباع .

واستمرت الحال على هذا الموال حتى دحت سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) ،
وفي شهر ربيع الأول « أربلت المواصر والمكوس ، ونقشت الألواح بذلك ،
واستوزر السلطان (مسعود) رجلاً من رؤساء الري يقال له محمد الخازن ،
فأظهر العدل ورفع المكوس والصرائب . وكان حسن السيرة . فدخل عليه
رجلان يقال لاحدهما ابن عمارة ، والآخر ابن أبي قيراط بطلبان صمان المكوس
التي أربلت بمائة ألف دينار ، ورفع أمرهم إلى السلطان . فشهر في البلد
مسودي الوجوه وجبسا ... »^(٢)

ونظير هذا الحادث ما جرى في سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) . فقد روى أبو المرح
ابن الجوزي انه « طيف بالألواح التي نقش عليها ترك المكس في الأسواق ،
وصرمت بين يديها الذباب والبوقات »^(٣) .

وفد افاض في ذكر هذا الحادث ، سبطه . نقوله : « وفيها (سنة ٥٤١ هـ)
١١٤٦ م) بطلت المكوس والصرائب ببغداد ، وسببه ان ابن العبادي جلس
بجامع السلطان ، وحضر السلطان عنده . فوعظه وذكر ما يجري على المسلمين
من الظلم ، ثم قال : يا سلطان ، أنت تهب في ليلة لمطرب مثل هذا المأخوذ من
الناس ، فأجعل دلك المطرب واجعل ذلك شكراً لما أنعم الله عليك . فأشار
بيده ، قد فعلت . وارتفعت الضجة بالدعاء ، وفودي في البلد بالاسقاط ، وكتب

(١) المنتظم (٩ : ٢٢٧ — ٢٢٨) .

(٢) المنتظم (١٠ : ٧٨ — ٧٩) والكامل لابن الاثير (١١ : ٧) ، أوربة = ١١ :

٢٩ ، بولاق) .

(٣) المنتظم (١٠ : ١٢٠) .

(د) المآصر في كتب الأدب .

لم تترك الشعر . الأوائل أمراً من أمور الحياة ، ولا مرفقاً من مرافقها
إلا كانوا فيه شعراً . وها ان أبا العباس عبد الله بن أحمد (المتوفى سنة ٢٩٦هـ) ،
يتطرق إلى ذكر المآصر في شعره خالداً له . فأنشد :

بالسرخ والميدان لي منزل	وئدني الشمس وقد برئ
وخير مال لي طيارة ^(١)	تدري في السير أو تقبل
يلطم الماء بحاديها	حاملة الحطب تحمل
عائتها قصر حميد وفي	ستان شر دهرها الأطول
وإن تجد من مآصر غفلة	نظر إلى كركين ^(٢) لا تعدل ^(٣)

ثم انه يعود فيذكر المآصر في أرحوزته الشهيرة التي عملها في تاريخ
أمير المؤمنين المحتشد بالله العباسي ، ويشير إلى كثرة عددها في دجلة ، وما يركبه
المآصريون من منكر . قال^(٤)

وكان في دجلة ألف مآصر	لم يعنها إلا جناح طائر
يجمون كل مقل ومدبر	جاهرين بالفعال المنكر
كم تاجر راوغهم بزورقه	فأغمدوا سيوفهم في مفرقه
وفرت الأعراب في البلاد	وأهلكوا أهلاك قوم عاد
فأودعوا السعس مكتفياً	مغفلين ومصعدين

(١) الطيارة ، ويقال فيها أطيار : ضرب من السعس شهيرة القديمة ، أكثر ما اتخذ في
العراق ركوب . . .

(٢) الشمس ، ويطرب ، ذكر كركين : الواردة أسماؤها في هذه الأبيات ، من قرى بغداد .
كانت مواطن للنصب واللهو . ولها اختار كثرة صرعه في كتب البلدان والأدب .

(٣) شعر أولاد الخلاء . . . وهو الجزء الثالث من كتاب الأوراق للصولي (ص ٩٨) ،
صحة هيروت د . القاهرة ١٩٣٦ .

(٤) لأرحوزة ص ١١٠ ص ١١٣ .

ولمعضهم مراقبة دماؤهم قد عفت بريحهم صحراؤهم
 وكلهم قد كان لصاً عادياً مارال قدماً يعمل الدواهيها
 لما رأى من السيوف برقاً ملا السراويل الطوال ورقاً
 فداسهم دوس الحصيد اليابس ماخيل والرجال والعوارس

وكان القاضي المحسن التموحي (المتوفى سنة ١٣٨٤ هـ) ، ممن نبه إلى المآصر الأسفل . إذ سرد حكاية طويلة جاء في آخرها : « فتوجه السباطون والرجالة إلى الزورق فضرهوه بالنار ، وأقبل الملاح يلطم ويصيح ويقول يا قوم فيه أموال الناس وأحرقت قلوب الزورق التي كانت تربطه وتمسكه فاحذر مع الماء لنفسه ولنار تشتعل فيه ، فوقع على الجمر فقطعه ، وانحدر حتى انتهى إلى موضع مسكر سيف الدولة (له) ابن سيف الدولة ، وكان مازلاً في المآصر بواسطة (١) » .

(٥) المآصر في كتب الإدارة والسياسة :

لم نقف في المراجع التي ندخل في هذا الباب على أقدم ما ذكره القاضي أبو يوسف (المتوفى سنة ١٨٢ هـ) - صاحب الامام أبي حنيفة - ، قال : « وحدثنا قيس بن ارسع عن أبي فرارة عن يزيد بن الأصم عن أبي الزبير انه قال : ان هذه المآصر والعماطر سحت لا يحل أخذها ، وعت عمالاً إلى اليمن وبهاهم أن يأخذوا من مآصرة ، أو قنطرة ، أو طريق شيئاً . فقدموا ، فاستقل المال ، فقالوا : نهيتنا . فقال : خذوا كما كنتم تأخذون » (٢) .

وهذا من أقدم الاخبار التي وقفنا عليها بشأن المآصر بأنواعها الثلاثة . ونظير ما ذكره أبو يوسف ، ورد في نسخة عهد كتبه أبو اسحاق ابراهيم الصابي ، عن المطيع لله الخليفة العباسي ، إلى أبي تغلب الفضل بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان . قال فيه : « هذا ما عهد عبدالله الفضل

(١) نزار الخضراء (٨ : ٩٤ هـ نشره المجمع الذي اخرج به دمشق ١٩٣٠) .

(٢) الخراج لأبي يوسف (من ٨٠ ، طبع بولاي ١٨٨٤) .

الامام الطييع لله أمر المؤمنين إلى العصم من ماصر الدولة أبي محمد ، حين
تمكنت حرمانه . وأمره أن يرفع عن الرعية ما شرعه أشرار لعل من سن
الظلم وسر العشم وأخذتوه من الرسوم الباطلة وطرقوه من المعاملات الجائرة ،
ولا يستعمل عليهم عاملاً إلا ناجرة ، ولا يدخل لهم ربماً إلا نادى ، ولا يستخـر
حمولة ... ولا يطالبهم بضريبة ولا مكس ، ولا يجيبهم عند ماصر
ولا رصد ^(١) .

وقد مر بنا عبر فناء عن الماصر الأسمن بصريين واسط . وها هو ذا هلال
العصبي يتطرق إلى ذكره في بحرى كلامه على أحوال دار الخلافة لعماسيه ، بعدد
قال . « . ومن ذلك . البعثات التي تنطلق في كل سنة ثمن الجوارح وكسوة
الكرام ، وثمان القوس بماصر الأسمن ، وثمان السكاة الممددة ثمن وأربعين
ألفاً وسبعة دنانير ^(٢) .

وقبل الانتهاء من هذا الباب ، نورد أخباراً تشبه أن تكون ذات صلة
وثيقة بالمآصر الشهيرة . فقد ساق مسكوبه في حوادث سنة ٣٣١ هـ (١٩٤٢ م)
هذا الخبر : « كان رسم مراكب ابن وحيه أن يشد لعصمها إلى بعض الليل
في عرض دحلة فيصير كالجسر . ولما كان في الليل ونام الناس وكل من في المراكب ،
أشعل ذلك الملاح السعف ، وأرسل الرورقين والمارويهما . فوقما على تلك
المراكب والشدات ، فاشتعلت واحترقت قلوبها واحترق من دها ^(٣) .

وما من شك في أن ابن وحيه ، أنتم عهد أو عمله هذا الذي يتطوي على
المكر والاياع ، اصطفاً لاسم المسحدره في دحلة وسلباً لما تحته من مال
وراد .

(١) رسائل المصنف . من ١٣٨ - ١٣٩ ، نشرها الأمير شبيب ارسلان . بيروت - لبنان .
سنة ١٨٩٨ .

(٢) رسوم دار الخلافة (الورقة ٣٠ من المخطوط) ، وهو كتاب حقناه واعدناه للنشر .

(٣) تجارب الامم (٦ : ٤٦) .

وروى الورير أبو شجاع في أحداث سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) ما جرى عليه أمر لشكرستان بن دكي بالصرة الى أن استقر ما بينه وبين مذهب الدولة من الصلح. قال : « فاحتلفت الرواية في دمه عنها ، فقيل ان أهل الصرة قويت بهم فوثقوا على الديلم . وانصرف لشكرستان من عبر حرب إلى أسافل دحله ، وقيل : بل عقد جسرأ في الموضع المعروف بالجل وقال : الديلم يرمون كل من يرد من نهر (ابن) عمر . وحمل أمامه سلسلة حديد ممتدة من إحدى حافتي نهر ابن عمر الى الأخرى ، ليدفع عن الحصر ما أرسل في الماء من شاشات القصب المصرمة بالنار ، تفوس بثقلها فتعبر الشاشات عليها فتعرقها ، ووافى عسكر البطيخة من نهر ابن عمر وجمعوا قصصاً كثيراً تعرض النهر وأرسلوه مصرماً بالنار وحملوا سفهم بني فيها مقاتلتهم من ورائه ، فوقع على سلسلة وتقصفت ، وعلى السفن الصغار فاحترقت . ووصل إلى الجسر ، ودخل عسكر البطيخة الصرة يقدمهم ابن مرزوق وعسكره إلى الجزيرة ... » (١).

وحكى ابن كثير في أحسن سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) انه « جاءت الريدية جزو العراق ، وبنودي في الناس بذلك ، وعمل سلاسل عظام لسبب الجسورة على دجلة بغداد ... » (٢).

يؤخذ مما تقدم ان الماء من الريه كان يمشي في عبر مكان ر على دحله والقرات ، على ان أهمها . كان في امداد - وفي أعلاها المأصر الأعلى - ، والحوايت ، ودير العاقول ، والعت ، والسكوفة ، وصرين واسط - وعندها المأصر الأسفل - .

(١) دلي بحار الامم (من ٢٢٢ - ٢٧٣ ، ص ٢٧٣) . وفي (من ٢٧١) أخبار

لشكرستان هذا ، فلتراجع .

(٢) البداية والنهاية (١٣ : ٣٢٢) .

الباب الثاني

المآصر البرية في العراق

منها في صدر بحثنا أ ب « المآصر يعد على طريق أو نهر يؤصر به السفن والسابلة ، أي يجبس ليؤخذ منهم العشور » .

وأنت راء ان ما ورد من أحجار المآصر سهرية ، مقدار حسن .

أما المآصر البرية فأحجارها نزر للعاية . وشاع أمرها يوم بدأت أطراف دولة بني العباس تنقص عن الام وتستغل شؤونها فكانت المآصر البرية هذه تقام بين مقاطعة ومقاطعة ، وفيها يجري التعيش وأخذ الضرائب من الوارد والصادر .

وعلى ذلك كان هذا الصرب من المآصر كان لا يستمر في مكان ، لأن حدود هاتيك الأطراف كانت في تبدل مستمر^(١)

وأقدم ما وقفنا عليه من أحجار المآصر البرية ، يربط إلى المائة الرابعة للهجرة ، ملح اليه البشاري الممدي ، ولم يصرح بتسميته بالمآصر ، ولكنه المآصر البري تسميه . قال في عرس كلامه على « الصرائب » في اقليم العراق ، انها كانت « ثقيلة كثيرة محدثة في السهر والبر . وفي البصرة تمش صعب وشوكات منكزة ، وكذلك بالطائغ تقوم الأممه وتعدش . وأما الفراميه فلم ديوان على باب البصرة ، وللديلم ديوان آخر ، حتى انه يؤخذ على العنة الواحدة أربعة دراهم ، ولا يفتح إلا ساعة من النهار . وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال الأعراية ، وكذلك بالكوفة وبعداد ، ويؤخذ من الحاج للحمل ستون ،

(١) أضافني يهد ، الدكتور عبد العزيز الدوري . فله مني الشكر .

ومن الكنيسة أو حمل الترمائة ، ومن المارية خمسون ومائة بالصرة
والسكوفة » (١).

وقد وقفنا على خبر مأصر بري كان في بلد المقر ، ان فرد بذكره باقوت
في قوله : « والمقر قرية في حف حمل حرس من حمة الموصل ، وبه مأصر
لصاحب الموصل ، يأخذون فيه الحمار لحفظ السالة ، ولا ينفعون شيئاً ،
ويعرف بممر ابن زعل . وابن رعي أمير تركاني تكفل به الحماية هذا الموضع
وقرر على كل حمل شيئاً بديراً ، ثم استبدل به من صاعف المهر اصعافاً كثيرة ،
ولم يفس شيئاً التمة » (٢).



(١) أحسن التماسيم في معرفة الأقاليم (ص ١٣٣ - ٣٤ ، طبعة دي غوييه ، لندن ١٩٠٦) .
(٢) الشترك وصما والمهزق صقماً لياقوت احموي (ص ٣١٢ - ٣١٣ ، طبعة وستفالد) .

الباب الثالث

المآصر البحرية

احتضنت بعض المدن أراكمه سواحل البحار منوع من المآصر الضخمة ،
تتخذ من سلاسل حديد ، ويدخل في تركيبها أفعال بحكمة الصنع ، توضع عند
أطراف السلاسل تفتح وتغلق عند الحاجة ، فاد أريد ادخل سفينة إلى الميناء ،
أرخت السلسلة من جانب القل حتى تعمس في الماء ، فتمر السفينة من فوقها ،
ثم تشد السلسلة بعد ذلك ولا يكون للقوس أثر في هذا لصف من المآصر ،
لعدم قدرتها على مقاومة الشلديات وشلواني والسطس والمرمات والحريات
والخرافات ونحوها من مراكب البحر الكبيرة ، ذلك فضلاً عن تأثير المياه المالحه
فيها التي تذهب غنائمها وتقلعها في مدة وجيزة

وأشهر المدن الساحلية ذات المآصر أو السلاسل^(١) كما أسماها البدائيون ،
هي باب الأنواب ، والمهدنة . وعكة ، وصور ، واللاذقية ، ورودرس ، ودمياط ،
والاسكندرية ، والسويس ، فضلاً عن حاصح القسطنطينية

الفصل الأول

مآصر بلاد الروم

(١) مآصر جميع القسطنطينية :^(٢)

أمر هذا المآصر قديم بعيد العهد ، وأقدم الاخبار التي وقفنا عليها بشأنه
ترقي إلى صدر الاسلام ، إذ ورد ذكره في قصه معاوية بن أبي سفيان مع

(١) لم يشر المؤرخون والسياسيون إلى أهمية هذه السلاسل بالمآصر ، ولكن الذي نستنتجه
أنها المآصر البحرية بيمينها .

(٢) هو المعروف في زماننا بـ « مضيق البوسفور » .

الرجل الصوري الذي أسر بشرق الروم من مدينة القسطنطينية . فقد روى
المسعودي قائلًا : « وأخبرني بعض الروم عن كان قد أسلم وحسن إسلامه ، أن
الروم صوّرت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل الأس والنحدة والمكابد
في النصرانية والحيلة من الملاحين ، منهم الرجل الذي نعت به معاوية حين احتال
على الطريق فأسره من القسطنطينية فأقاد منه ، فاضرب ورده إلى القسطنطينية ،
فأما خير معاوية وما دكرناه من خير الرجل الذي أسر البصري من مدينة
القسطنطينية ، فهو أن الساميين غرّوا في أيام معاوية ، وأسروا جماعة منهم فأوقفوا
بين يدي الملك . فتكلم بعض أسارى الساميين . فدنا منه بعض المطارقة من كان
واقفًا بين يدي الملك ، فإطام حرّ وجهه وآلمه . وكان رجلاً من قریش ، فصاح
وا إسلاماه ! أين أنت عما يا معاوية إذ أهلكنا وصيبت نعورتنا وحكت العدو في
ديارنا ودمائنا وأعراصنا . فتمنى الحرّ إلى معاوية ، فألمه وامتنع من لبس الطعام
والشراب . ثم أجمع الأمر في إعمال الحيلة بأقامة الهدوء بين الساميين والروم ..
فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية أخذ صوري خير البصري
من أصحاب الغوارب والبرك ، فأخبر أن الطريق في صيغته ، وذلك أن
الخليج طوله نحو من ثلاثمائة ميل وحسين ميلاً من هذين البحرين وهما :
الرومي والبنطس^(١) . وهما أثر على هذا الخليج من حافته ، والمراكب والغوارب
تختلف بأنواع الماع والأقوات إلى القسطنطينية ، . . . وقال لصوري : سر
معه حتى تأتي الخليج وتطرحه فيه ومن كان أسير معه ، ممن نادر فصعد المركب
من عمان البطريق وخصته . فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين ببلاد
الروم ، وقرّبوا من فم الخليج . وإذا به قد أحكم ناسلاسل والمسعة من
الموكلين به ... »^(٢) .

(١) في المطبوع « البنتس » وهو بحر بيس وبحر سنطس (Pontus) هو المعروف

في زماننا بـ « البحر الأسود » .

(٢) مروج الذهب (٨ : ٧٤ - ٨٧) طبع بارس ، دراجم تبص (٢ : ٣١٦ - ٣١٨) .

وهذا أبو القاسم عميد الله بن خردادبه (المتوفى في حدود سنة ٥٣٠ هـ) ذكر هذا المأصر حين وصفه خليج القسطنطينية ، قال ^(١) : « ويمر الخليج حتى يصب إلى بحر الشام ، وعرضه عند مصبه أنصاف قدر عوة سهم ، يكلم الرجل على شطيه ، وهناك صخرة عليها برج وبه سلسلة تمتع من المسلمين من دخول الخليج » ^(٢).

وعلى ذكر الخليج ، نورد ما قاله في مكان آخر من كتابه : « . وبسيل منها خليج عند قسطنطينية حتى يصب في بحر الروم . وطوله من حيث ابتدائه من مدبته قسطنطينية إلى حيث يصب ، مائتان وستون ميلاً ، وفيه سفن ، وعرضه مختلف ، فأما عند قسطنطينية فقد (كذا ، والصواب فقدره) ثلاثة أميال ، وفي موضع آخر ستة أميال ، وفي موضع آخر ميل وأكثر وأقل ، ويكون عرضه عند مصبه مقدار عوة ، وبذلك الموضع صخرة عليها برج مبني ، وفيه من قبل الروم من نقش السمن » ^(٣).

وتابع أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصفهري (الذي نفع سنة ٥٣٤٠ هـ) سماعه ابن خردادبه في ذكر سلسلة خليج قسطنطينية . فقد قال في معرض كلامه في بحر الروم . « . ثم ينتهي إلى شدة الخليج ، وهو خليج الملح يعرف بالخليج القسطنطينية ، وعليه سلسلة ممتدة لا تمر فيه سفن البحر إلا بأذن ، مثل المأصر ، ... » ^(٤).

وماء من بعده ، أبو القاسم محمد بن حوقل رحالة البعدي الموصل (الذي نفع في سنة ٥٣٦٧ هـ) قد ذكرها في محرى وصفه خليج القسطنطينية . قال :

(١) المالك والمالك ، ص ١٠١ ، طبعة دي غوبه ، لندن ١٨٨٩ .

(٢) غزو المسلمين لبلاد الروم ، ص ١٠١ (بدل الخمس) .

(٣) المالك والمالك (ص ٢٣) .

(٤) المالك والمالك (ص ٦٩-٧٠ ، طبعة دي غوبه ، لندن ١٩٢٧) .

« وعلى الخليج سلسلة ممتدة لا نعر عنها سفن البحر إلا بادن وعلامه ، وعليها مرصد »^(١).

وها هو ذا يذكر المرصد أثناء كلامه على المأصر ، كما أسماه غيره لرج ، ومن الجملي الواضح أن يكون المرصد من متهات أمور لمأصر البحري ، فعنده ترتبط السلاسل بالأفعال ، وفيه يجلس صاحب القفل يرقب السفن القادمة والمبحرة ، ويقابله في المأصر السهري السفن الأربع ، كل اثنين منها على شاطئ من النهر ، وعندها ترتبط قلوب المأصر ، وفيها يجلس المصريون لمرافقة ذهاب السفن وإيابها ، للعمل على تفتيشها وأحد العشور من أصحابها - ودونك ما ذكره على لمرصد عند كلامه على أقليم فارس . قال : « .. وقلعه ابن عمارة تُنسب إلى الجلندي بن كنعان ولا يقدر أحد أن يرتقي إليها بنفسه ، إلا أن يرقى به في شيء من السُجُر (الحامل) . وهي مرصد كانت لآل عمارة على البحر يعرفون منها المراكب ، فإذا أقبلت حرقوا إليها وطالبوا أهلها بصرائدهم على ما لهم من الحمل فيها ... »^(٢).

ونظير هذا ، ما ذكره عند كلامه على إرمينية وأدربيجان والران ، قال : ان « الطونغ مدينة أيضاً بها مرصد على ما يخرج من أدربيجان إلى بواحي الري ولوازم على الرقيق والدواب وأسباب النجارات كلها من الأغنام والبقر ، ومقاطعة هذا لمرصد دائماً مائة ألف دينار ورائد إلى ألف ألف درهم وماقص في السنة ، وليس له ولما يختار به شبه في جميع أقطار الأرض »^(٣).

وذكر في غير موطن من كتابه^(٤) : أعشار السفن ... والمرصد .

(١) سورة الأرض (ص ٢٠٢) .

(٢) سورة الأرض (ص ١٧٢) . وانظره في معجم (ص ١١١ : ١٢٠) .

(٣) سورة الأرض (ص ٣٥٣) .

(٤) سورة الأرض ، انظر مثلاً (ص ٣٠٢ ، ٣٠٣) .

ولا يخفى أن منارة الاسكندرية الشهيرة ، هي خير مثال لمرصد البحرية .^(١)
ومن درج سبيل هؤلاء القوم من الباحثين ، ابن الفقيه الهمداني — أحد
علماء أواخر المائة الثالثة للهجرة — ، الذي تطرق إلى ذكر لمأصر الراكب على
خليج القسطنطينية بقوله هذا : « ويمر خليج قسطنطينية حتى يصب الى
بحر الشام ، وعرض الخليج بأبدس قدر غوة ، وإذا صار إلى بحر الشام فعرضه
عند معصه أيضاً قدر غوة . وهناك صخرة عظيمة عليها برج فيه سلسلة تمنع
سفن المسلمين من دخول الخليج »^(٢).

والظاهر ان هذه السلسلة رفعت من خليج القسطنطينية وزال أثرها قبل
المائة الثامنة للهجرة . كما يستشف من كلام السويري (المتوفى سنة ٧٣٧ هـ) الذي
ذكر حرها بقوله . « وأما خليج لقسططينيه ، ويسمى بحر نيطنش (نفطس) ،
من موهته مقابلة لجزيرة رودس ، وسعتها غوة سهم ويقال انه كان بين
الشطين سلسلة طرفها في رحى تمنع مراكب من المور إلا نادى الموكل بها »^(٣).

(ب) مأصر رودس

رودس . وفيل رودس ، على ما في كتب البلدان^(٤) ، جزيرة ببلاد الروم
مقابل الاسكندرية ، وهي أول بلاد افرنجية . كانت في أيام اسمعدي
(حدود سنة ٣٣٧ هـ) دار صناعة الروم ، بها تبنى المراكب البحرية ،
ومراكبهم تقارب بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر ، فتغير وتسي
وتأخذ .

(١) معجم البلدان (١ : ٢٦١) .

(٢) مختصر كتاب البلدان (ص ١٤٥ - ١٤٦ طبعة دي غو ، لندن ١٨٨٥) . وإذا

تردت مریداً فراجع (ص ٢٨٨ - ٢٩١) .

(٣) نزهة الأرب (١ : ٢٢٦) ، ص ٢٢٦ (مكتبة انصرية) .

(٤) معجم البلدان (٢ : ٨٣٢ - ٨٣٣) ومراصد الاطلاع (١ : ٤٨٩) .

وقد وقفنا على خبر مأصرها في حدود المائة العاشرة بالهجرة ، وحدث في أيام
السلطان « سليمان القانوني » الذي جلس على سرير الملك في سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) .
قال القرماني المؤرخ ، يصف ميناء رودس ومأصرها والاستيلاء عليها :
« .. ثم ان السلطان لما بلغه ما يحصل بالمسلمين السائرين على وجه البحر من
التجار والحجاج والمسافرين والصادرين والواردين من جهة كغار رودس ،
أحب الجهاد اليهم فأمر الوزير الثاني مصطفى باشا بأن يسير بالهجرة في البحر
فلا يرسي إلا على جزيرة رودس فساروا في نحو سبعمائة غراب^(١) حتى
أرسوا في مرسى من مراسي رودس يقال له أنف الثور . وكانت قلعة رودس
من أمتع حصون الدنيا ، وكان بانيها ماهراً في الهندسة بحيث انه بنى سور القلعة
تحت الأرض وعمل لها خندقاً عريضاً عميقاً وشحها بالمدافع ، وجعل للسور سورين
في عرض سبعة أذرع ، وملاً ما بينهما ، وهو مقدار عشرة أذرع ، بالراب
والحجارة . ولها من جانب البحر ميناء عظيمة مدورة كالخوص ، ولها باب
مخصوص ، وحملوا عليها سلسلة من حديد ، ولها بعض قتل وبروج تناعي في
الرفعة والاحكام مماك السماء ... »^(٢)

الفصل الثاني

مأصر بلاد الشام

(١) مأصر المردقية :

اللدقية مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص ، لها مرفأ جيد
حكم . زارها « ابن بطوطة » في حدود سنة ٧٢٥ هـ وشاهد مأصرها البحري ،

(١) الغراب : ضرب من سفن البحر القديمة .

(٢) أخبار الدول وآثار الأول للقرماني ، انتهى سنة ١٠١٩ هـ ، ص ٣١٧-٣١٨ ،

طبع بغداد ، سنة ١٨٦٥ م .

ووصفه بقوله : « وميناء هذه المدينة عليها سلسلة بين برحين ، لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحيط له السلسلة . وهي من أحسن المراسي بالشام »^(١).

(ب) مأصر صور :

« صور » مدينة السواحل وبها دار الصبغة ، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم ، وهي حصينة حليلة « ، كذا وصفها مصنفو المسالك والممالك .

أما المأصر الذي في مينائها ، فلا يقل خطراً وشأناً عن نظيره الذي في حبيج القسطنطينية . وأقدم حمر وقصا عليه بهذا الشأن . ما رواه البشاري المقدسي نقلاً عن محمد بن حسن الشيباني (المتوفى سنة ١٨٧ ، وقيل ١٨٩ هـ) ، وذلك في معرض كلامه عن صور . قال البشاري : « صور مدينة حصينة على البحر ، بل فيه ، يدخل إليها من باب واحد على حمر واحد ، قد أحاط البحر بها ، ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض . تدخل فيه المراكب كل ليلة ثم تخرج السلسلة التي ذكرها محمد بن الحسن في كتاب الاكراه »^(٢) .^(٣)

وكان الرحالة الدائع الصيت ابن حبير الأندلسي (المتوفى سنة ٦٩٤ هـ) ، قد زار مدينة صور في يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الآخرة من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة للهجرة (١١ أيلول سنة ١١٨٥ م) وأقام بها أحد عشر يوماً ، فكتب لنا وصفاً رائعاً لمأصر هذه المدينة ومقابلته بالدي في عكة .

(١) نسخة النظار (٩ : ٤٨٣ ، طبعة بلويس) .

(٢) ذكره ادراج حليلة في كشف الطور (مادة : كتاب الاكراه) . وانظر ترجمة مؤلفه في وفيات الأعيان لابن حلكان (١ : ٦٤٧ - ٦٤٨ ، طبعة . دلاق الأولى ١٢٧٥ هـ) .

(٣) أحسن التقاسم (ص ١٦٣ - ١٦٤) وفي نسخة : لا يستدوي لية لمحطوط أحسن التقاسم ما هذا نصه : « وانما تدخل المراكب هذا الخير وتخرج السلسلة كي لا يمر عليها الروم في الليل » .

ودونك ما رواه : « صور مدينة بصرب بها المثل في الحصانة ، وذلك انها راحمة إلى ناس : أحدهما في البر والآخر في البحر وهو يحيط بها من جهة واحدة ، .. وأما الذي في البحر فهو مدخل بين مرجين مشيدين إلى ميناء ، وليس في البلاد البحرية أعجب وصفاً منها . يحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب ، ويحيط بها من الجانب الآخر حدار معقود بالحصى . فالسور تدخل تحت السور وترسى فيها ، وتعرض بين الرخمين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب إلا عند إرادتها ، وعلى ذلك الباب حراس وأمناء لا يدخل الداخل ولا يخرج إلا على أعينهم ، فشان هذا الميناء شأن عجيب في حسن الوضع ، ولما كان مثلها في الوضع والصحة ، لسكنها لا تحمل السفن السكران حمل تلك ، وإنما ترسى خارجها ، والمراكب الصغار تدخل إليها ، فالصورة أكل وأهل وأحمال » (١).

أما الرحلة « ابن بطوطة » الذي حوّل الآفاق ، فإن بدءه برحلته ، يوم خروجه من مسقط رأسه طنجة ، في يوم الخميس الثاني من شهر رجب عام ٧٢٥ هـ (١٤ حزيران سنة ١٣٢٤ م) . فرار بعض المواطنين من شمالي إفريقية ، ثم جاء إلى الديار المصرية ، ومنها خرج إلى نهر فرار مشاهداً المباركة ، ثم صعد قاصداً دمشق ، فسلط ساحل البحر ، وزار مدنه وموانئه فمر بصور ، ووصفها وذكر مآصرها ، وكانت البلدة ومآصرها يوم ذاك في عداد الخراب قال : « ثم سافرت منها (من عكة) إلى مدينة صور ، وهي خراب وبخارجها قرية معمورة ومدينة صور هي التي بصرب بها المثل في الحصانة والمعة ، لأن البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها . ولها نال ، أحدهما للبر والثاني للبحر ، ولبابها الذي يشرع نهر أربعة قصبات لان كلها في ستائر محيطة بالباب . وأما الباب

(١) رحلة ابن حبير (من ٢٠٨ ، طبعه رات = من ٣٠٤ - ٣٠٥ ، طبعه دي غوييه =

من ٢٨٦ - ٢٨٧ ، طبع مطبعة السعادة بمصر) .

الذي للمحر فهو بين برجين عظيمين ، وشاؤها ليس في بلاد الدنيا أعجب
ولا أغرب شأنًا منه ، لأن المحر محبط بها من ثلاث جهاتها ، وعلى الجهة الرابعة
سور تدخل السفن تحت الدور وترسو هناك ، وكان فيما تقدم بين البرجين
سلسلة حديد معترضه لا سبيل إلى الداخل هنالك ولا إلى الخارج إلا بعد حطها ،
وكان عليها الحراس والامناء ، فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج إلا على علم
منهم . وكان لمكة أيضاً ميناء مثلها ولكنها لم تكن تحمل إلا السفن الصغار^(١) .
وقد أشار القسطندي (المتوفى سنة ٨٢١ هـ) إلى خراب صور ، ونقل عن
الشريف الإدريسي وصف هذا المأمر ، بقوله : « وكان بها مرسى يدخل
إليه من تحت قنطرة عليها سلسلة تجمع المراكب من الدحول .. »^(٢) .

(ج) مأمر عكة :

كانت مدينة عكة تزدهر بمأمرها وتفاخر عمارة سلسلتها ، وعلى يديها أصبحت
حصينة جداً لا سبيل إليها . ولعل البشاري المقدسي حير من عني بوصفها تخليداً
لذكرى جده أبي بكر البناء الذي ابنتى ميناء عكة ، إذ كان يومئذ مهندساً
بارعاً في الشام . ودونك وصف البشاري لميناء عكة ومأمرها : « عكة مدينة
حصينة على البحر ولم تكن على هذه الحصانة حتى زارها ابن طولون
(ابن طولون) ، وقد كان رأى صوراً ومبعتها واستدارة الحائط على مينائها ،
فأحب أن يتخذ لمكة مثل ذلك الميناء ، فجمع صنائع الكورة وعرض عليهم
ذلك ، فقيل : لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان ، ثم ذكر له جده
أبو بكر السام ، وقيل : إن كان عند أحد علم هذا فمعه ، فكتب إلى صاحبه
على بيت المقدس حتى أنهضه إليه ، فلما صار إليه وذكر له ذلك ، قال : هذا
أمر هين ، عليّ بخلق الخبز العليظة ، فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البري ،

(١) تحفة النظار (١ : ١٣٠-١٣١ ، طبع باريس) . والظاهر ان ابن بطوطة نقل صفة

ميناء صور وسلسلته من ابن حير .

(٢) صبح الأعشى (٤ : ١٥٣) .

وخيطة بعضها بعض ، وجعل لها نائماً من الغرب عطيماً ، ثم بنى عليها بالحجارة
والشيد ، وجعل كذا بنى خمس دوائر رصها بأعمدة ، لا ط لشدت الماء ، وحملت
البراق كذا ثقلت نزل ، حتى إذا عبر أنها حسب على الرمل ، ركبها حولاً كاملاً
حتى أخذت قرارها ، ثم عاد فبنى من حيث نزل ، كما بلغ الماء إلى الخائف قدبم
داخله فيه وخيمته به . ثم جعل على الباب قنطرة . فالراكب في كل ليلة يدخل
الميناء وتجر السلسلة مثل صور ... » (١)

وفي شعر من سنة ٢٣٨ هـ بحرة (١٠٢٧ م) ، رار الرحالة العارسي الدائع
الصيت « مصر خمرو » ، مريده عكة وشهد ميماءها وسلسلتها ، فوصف كل ذلك
وصفاً رائداً . ثم قاله : « وما قلعة ناية في الأحكام ، يصل حاساها العربي
والجوي إلى بحر ، وعلى الأخير ميماء . ومعظم مدن الساحل كذلك ، وبالماء
اسم يوافق على الجهة التي نمت للمحافظة على السفن ، وهي تشبه (الاسطبل)
وطورها ناحية المدينة . وحائطها داخلتان في البحر ، وعلى امتدادها مدخل
مفتوح طوله خمسون ذراعاً ، وقد شدت اسلاسل من الخائضين . فإذا أريد
إدخال سفينة إلى الميناء أرحيت سلسلة حتى نفوس في الماء فتتم السفينة من
فوقها . ثم تشد حتى لا يستطيع العدو أن يقصدها (سوء) » (٢)

ثم جاء بأفوت الجوي . فتوفي سنة ٩٢٦ هـ ، وفيه بنى مئصر عكة بقوله :
« ثم عاد فبنى من حيث نزل ، وكما بلغ الماء إلى الخائط الذي قبله ، أدخله
فيه وخطه به ، ثم جعل على الباب قنطرة ، والراكب كل ليلة تدخل الماء
(صواب الميناء) ، وتجر السلسلة بيها وبين البحر الأعظم مثل صور » (٣)

(١) أحمد بن أبيه (ص ٩٢ - ٩٦) . وحده انشائي كلامه بقوله ، ان محمد بن
طوبى قد دفع الى حده في تكرار : « ألف دية روى الخلم وغيرها من الركوب »
واسم عليه مكتوب ، وقد كان المدو من ذلك غير على المراكب .

(٢) سرنا (ص ١٥ - ٦) ، ترجمة يحيى الخشاب . القاهرة (١٩٤٥) .

(٣) معجم البلدان (٣ : ٧٠٨ هـ . عكة) .

وبلاحظ من هذا ، ان ياقوتاً نقل كلامه عن البشاري المقدسي .
وقد يكون الرج الذي أشار اليه لقاضي بها ، الدين بن شداد (المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) ، والمسمى بـ « برج الذبان » هو الذي فيه قفل مأصر (السلسلة) لميناء عكة ، فمن حيرته انه « لما كان الثاني والمشرين من شعبان (سنة ٥٨٦ هـ) جهز العدو بـطلسا^(١) متعددة لمحاصرة برج الذبان ، وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء عكة يحرس به الميناء ، ومتى عبره المركب أمن غائلة العدو ، فأراد العدو أخذه ليسقي الميناء بحكمه ، وبمنع الدخول اليه بشيء من البطس ، فتقطع الميرة عن البلد ... »^(٢).

هذا ، وقد صرح زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) ، بأنه نقل قول البشاري المقدسي في صفة عكة ومينائها وسلسلتها^(٣) .
أما ابن عبد الحق ، فإنه لم يفته وصفها^(٤) ، ولكن يستشف من خلال كلامه انه مأخوذ من كلام ياقوت ، وهذا أمر معروف عند الباحثين ، فان كتابه يعتبر مختصراً لمعجم البلدان ومستدركا عليه في بعض الأحيان ولهذا السبب ، لا حاجة بنا إلى إيراد ما كتبه هذا ، ولا إلى ما كتبه القزويني من قبله^(٥) ، بعد أن تبين لك أن أولهما نقل كلامه من معجم البلدان ، وثانيهما درج بخطي البشاري المقدسي السالف الذكر .

(١) البطس واحدتها بطسة ، ضرب من مرايا كساحر الكدية ، كانت تجدد في الحروب وفي التجارة .

(٢) النواحي السلطانية والخامس اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي) - حراة كتب الحروب الصليبية - ٣ : ١٨٤ ، صبح باريس سنة ١٨٨٤ . وانظر من ١١٨ فيها كلام على « برج الدابة » الذي شيد لحفظ ميناء عكة .

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد (مر ١٤٨) ، طبعة وستيفورد في غوتنبرج .

(٤) مرصع الاطلاع على أسرار الاممكة وادع (٢ : ٢٧١-٢٧٢) ، طبعة حوببول في ليدن .

(٥) كما ان الراسيني « ابن حبير » : (ص ٣٠٨ ، طبعة راييت) ، و « ابن بطوطة » :

(١ : ١٣٠-١٣١ ، طبع باريس) ، أشارا إلى مأصر عكة في عرض كلامهما على

ميناء صور .

البصل الثالث

ما مصر بلاد مصر

مصر العزيرة « إقليم قديم جليل عظيم ، حسيم العائدة في سالف الزمان ، كان قديماً قعدد الملك يسكنه عظام المراعنة وكدار الجبابرة »^(١) ، و « هو الاقليم الذي افتخر به فرعون على الوري »^(٢).

ومصر بلد لمضائل والمحاسن ، والطلسمات والمعجائب ، والكنوز والدقائق . أما فضائلها فكثيرة ، « منها أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز فضلاً وعشرين مرة ، تارة بصريح الذكر ، وتارة إيحاء »^(٣) ، وهي من الحصب وسعة الرزق على درجة عظيمة « بدليل قوله تعالى مخبراً عن قوم فرعون : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين) »^(٤).

وأشهر في غير موطن من « العهد القديم » إلى حصب أرض مصر وغرارة محاصيلها . وفي « سفر لتكوين » (١٥ . ١٣) ، قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : (إن جميع الأرض التي تراها ، لك أعطيتها ولنسلك إلى الأبد) . وجاء في « سفر الخروج » (١٦ : ٣-٢) : (فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهرون في البرية . وقال لها بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر حيث كما نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا ، فلم أخرجتنا إلى هذه البرية لتقتلنا هذا الجهور كله بالجوع) .

وفي « سفر العدد » (١١ . ٥) ، قال بنو اسرائيل : (فقد ذكرنا السمك الذي كما نأكله في مصر مجاناً ، والفثاء والطبخ والكراث والبصل والثوم) .

(١) سورة الارض (ص ١٣٥)

(٢) أحسن التقاسيم (ص ١٩٣) ،

(٣) خطط القريوي (١ : ٣٥ ، مطبعة النيل عصر ، سنة ١٩٢٤) .

(٤) صبح الأعشى (٣ : ٢٨٢)

« ومصر خرائن الأرضين كلها » (وتوابعها إلى ربوف دات قرار ومعين) ،
وسلطانها سلطان الأرضين كلها ، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام لملك مصر
(اجعلي على خرائن الأرض اني حفيظ عليم) « (١) » .
ومن ثم أصبحت « خربة أمير المؤمنين التي يحمل عليها حمل مؤنة نفوره
وأطرافه ، ويقوت بها عامه جنده ورعيته مع اتصالها بالمغرب وبجاورتها أجناد
الشام » (٢) .

أما محاسنها فلا حرم « انها مع ما اشتملت عليه من الفضائل ، وحسب به من
لما أثر ، أعظم الأقاليم حصراً ، وأجلها قدراً ، وأجمعها تملكاً ، وأطيبها تربة ،
وأخفها ماء ، وأخصبها رزقاً ، وأحسنها تداراً ، وأعددها هواً ، وألطفها ساكناً .
ولذلك ترى الناس يرحلون إليها وفوداً ، ويهدون عليها من كل ناحية ، وقل
أن يخرج منها من دخلها . أو يرحل عنها من ولجها ، مع ما اشتملت عليه من
حسن اسطر ، وبهجة اروق ، لا سيما في ربيع الربيع ، وما يندو بها من الروع
التي تملأ العين وسامه وحسناً ، وروق صورته ومعنى » (٣) .

قيل : « من أراد أن يذكر الفردوس ، أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فليطير
إلى أرض مصر حين يحصر زرعها ، وتندور ثمارها ، وقال كعب الأحبار من أراد
أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى مصر إذا أزهرت » (٤) .

ومصر « فرصة الدنيا ، يحمل خبرها إلى ما سواها ، فسادها بمدينة القلزم
يحمل منه إلى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند وبشجر ، وساحلها
من جهة تيس ودمياط والعزما فرصة بلاد اروم والفرنج ، وسواحل الشام
والشعور إلى حدود العراق ، وثمر الاسكندرية فرصة قريطش وصفلييه وبلاد

(١) معجم البلدان (٤ : ٥٤٥) ، وحطط القريزي (١ : ٢٧)

(٢) معجم سداد (٤ : ٥٤٧)

(٣) صفة الأئمة ، ٣ : ١٨٥

(٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر ، ٧ : ٧ ، المطبعة الشرقية بالقاهرة ١٣٢٧ هـ

المغرب ، ومن جهة الصعيد يحمل إلى بلاد العرب والسوبة والسجدة والحبيشة والحجار
واليمن» (١).

ومصر هذه « إقليم المعجائب ومعدن الفرائب ، كل أهلها أهل ملك عظيم
وعز قديم ، وفيها من الكمور العظيمة ما لا يدخله الاحصاء ، حتى يقال إنه
ما فيها موضع إلا وفيه كنز» (٢).

ومن طريق ما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص : « البركة عشر بركات ، في
مصر تسع بركات ، وفي الأرضين بركة واحدة . ولشعر عشرة أحراء ، بمصر
جره واحد ، وفي الأرض كلها نسمة أحراء» (٣).

أما حراجها ، فهو في مقدمه حراجات الأقاليم عرارة . قال ابن حوقل :
« وجدت بخط أبي التمر الوراق في أحبار أبي الحسين الحصبى . قال : حدثني أبو
خازم القاضي . قال : قال لي أبو الحسن بن المديسر لو عمرت مصر كلها لو فت
بأعمال الدنيا ... قال وقال له ، إنه كان يتعهد الدواوين بالعراق . يريد ديوان
المشرق والمغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي وعلى عمل أو بقية منه ،
وتفقدت مصر ، فكنت رمايت وقد بي على شيء من العمل ، فأستمتته إذا
أصبحت ...» (٤).

وقال غيره ، ان « حراج مصر وحدها يضمف على جميع خراج الروم ، وحمل
منها موسى بن عيسى في دولة بني العباس إلى ألف ومائة وثمانين ألف
دينار» (٥).

(١) حطط ابن روي (١٣٠) .

(٢) صحيح الاعتق ٣١ : ٨٦ .

(٣) مختصر كتاب البلدان (ص ٥٧) ، وحسن العاصفة (٩٠١) .

(٤) صورة الارض (ص ٣٥) ، والارض معجم البلدان (٤ : ٥٤٩) ، وقد تصحفت اسم
الداوي إلى أبي « خازم » فالحق المهمة ، خلافاً لسائر المراجع . وهو عبد الحميد
بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي ربيعة البصري (٣ : ٢٢٠٧ ، ٢٢١١ ، ٢٢١٢) .

٥ ٢٢٢٢ ، ٢٢٢٣ ، وفي بعض اولاده ، القصائد النكدي (ص ٥١٩ ، طبعه كـ) .

(٥) مختصر كتاب البلدان (ص ٧٦) .

فلا عجب أن تكون مصر وهي مالكة هذه الصناعات العديدة، والعم القليلة،
محط أنظار الأمم، من مرس، وروم، وفرنج، وغيرهم، ومعقد آمالهم وأمانتهم،
مطمع فيها الطامعون في السنين الساقطة، وغزتها الجيوش غير مرة، فماتت
بأرضها فساداً.

وكانت المدن المصرية في كل هاتيك الغزوات تعاني شدة الحصار، خاصة
ما توسد منها ساحل البحر، مما اضطرها إلى دفع الخطر المتوقع في كل آدر، بكل
ما أوتيته من حيلة ووسيلة، فأقام أصحابها الأسوار المنيعة حولها من طرف
البر، ومدوا السلاسل الحديد (الماصر البحرية) ذات الأراج الرصينة، في
موانئها من طرف البحر، فأضحت منيعة لا ترام ولا يوصل إليها.

وكانت دمياط والاسكندرية والسويس، وهي مفاتيح مصر، أعظم الثغور
ذات الماصر البحرية، ولعلها أنصبت في رشيد والبرلس وتيس والفرما وشطا
وأخنا، وغيرها من المدن الساحلية، غير أنها لم تقف بها بين يديها من مصادر
على نص مصر. يشير إلى ذلك.

(١) مآصر دمياط :

١ - في كتب البلدان :

دمياط على ما جاء في كتب البلدان العربية، مدينة قديمة بن تأسيس ومصر
على زاوية بين بحر الروم المالح والنيل. وهي ثغر من ثغور الاسلام، ومن شمالي
دمياط يصب ماء النيل إلى البحر المالح في موضع يقال له الأشتموم حيث يبلغ
عرض النيل هناك نحواً من مائة ذراع. قال ياقوت الحموي : « وعليه من حائبيه
برجان بينهما سلسلة حديد عليها حرس، ولا يخرج مركب إلى البحر المالح ولا
يدخل إلا بأذن. ومن قبلها خليج يأخذ من بحرها سمت القسلة إلى نيس،
وعلى سورها محارس ورباطات. » (١).

(١) معجم البلدان (٢ : ٦٠٢) مادة : دمياط ٦ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، مادة : (٢ : ٦٠٢)

ومن تطرق إلى ذكر لأمر الدمياطي هذا ، انما من مشاهير اللدانيين ،
 نعمي بها ذكره القروبي ، وابن عبد الحق ، غير انها لم يخرجها في ما سطره هما
 ذكره ياقوت من قبلها . ومما يحسن التنبيه عليه ، أن لفظة « عليها حرس » الواردة
 في عبارة ياقوت أعلاه ، قد حُرِّفَتْ في كل من كتب القروبي ^(١) ، وكتاب ابن
 عبدالحق ^(٢) إلى « عليها جرس » فليصححها .

٢ - في كتب التاريخ :

كانت المائة السابعة للهجرة (المائة الثالثة عشرة للبلاد) مشحونة بأنباء
 غزو الفرنج للديار الشامية والثغور المصرية ، فطلأ نوح حيوشهم كانت تطرق موانئ
 هاتيك البلاد بين حين وآخر ، ولسكنهم يصدون عنها في غالب الكرات بفضل
 المآصر البحرية ذات السلاسل الحديد المحكمة الصنع ، والأبراج المنيعة ،
 ويردون من حيث أتوا وتخب آمالهم في الاستيلاء على نعم البلاد وحيراتنا ،
 والتمتع بحسنها وطيب هوائها .

وفي الأسفار التاريخية كلام مسهب على حملات الفرنج هذه ، وهي التي أطلق
 على أغلبها في التاريخ اسم « الحروب الصليبية » .

وبين المؤرخين طائفة ممن شهد أو سمع بالكثير من حوادث هذه الحروب ،
 فلم يلازموا الصمت إزاءها ، بل دونوا أخبارها ، وفصلوا وقائعها ، ولا غرو
 أن يكون ما كتبه متقارباً في المطلب ، متاعداً في الطرز واللون ، مما حدا بنا
 إلى جمع ما نيسر لنا جمعه من أنسابها المتعلقة بأمر المآصر وإيراده في محله من
 بحثنا هذا .

وريادة الاعلام ، رابع : رتبة كشف الممالك في بيان الطرق والساكن لابن شاهين
 القاهري (ص ٣٥ ، طبع باريس ١٨٩٤) . وهذا الكلام نقله المستشرق دي سامي في
 « الألبس الجديد للطالب المستفيد » (ص ٢٤٥ ، طبع باريس ١٨٠٦ م) .

(١) آثار البلاد (ص ١٢٩) .

(٢) مرآة الاطلاع (١ : ٤١١) .

ولقد كان ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) من أوائل المؤرخين الذين
 سمعوا بحرب هذه العروات ، لأنه كان حياً يوم ذلك ، فمقل ايما حير حصر الفرنج
 مدينة دمياط ، واستبلاهم على سلسلة ميناها . ودونك ما قاله في هذا الصدد ،
 فرويه هذا لما له من الخطر « لما عاد الفرنج من حصار الطور ، أقاموا بعكة إلى
 أن دخلت سنة خمس عشرة وستائة (١٢٩٨ م) ، وساروا في البحر إلى دمياط ،
 فوصلوا في صفر فأرسوا على بر الجيرة^(١) ، بينهم وبين دمياط النيل . فإن بعض
 النيل يصب في البحر المالح عند دمياط . وقد بين في النيل^(٢) برج كبير منيع ،
 وحملوا فيه سلاسل من حديد علاطاً ومروها في النيل إلى سور دمياط لتمنع
 المراكب الواصلة من البحر المالح أن تصعد في النيل إلى ديار مصر . وبولا هذا
 انرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا تقدر أحد على منعها عن أقاصي
 ديار مصر وأدانيها . فلما نزل الفرنج على بر الجيرة وبينهم وبين دمياط النيل ،
 منوا عليهم سوراً وجمعوا حديداً بمنعهم ممن يريدون ، وشرعوا في قتال من
 بدمياط ، وعمموا آلات ومرتبات^(٣) وأراحاً يرحفون بها في المراكب إلى هذا
 الريح ليفة تنوء وبعل كروه . وكان الرج مشحوناً بالرجال ، وقد نزل الملك
 الكامل بن الملك العادل ، وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف
 بالمعادليه بالقرب من دمياط ، والمساكر متصلة من عنده إلى دمياط ليمع العدو

(١) الجيرة ، أي الوادي .

(٢) يظهر أن هذا برحاً آخر . غير البرح الذي نحن مصدده في دمياط باسم برج
 السلسلة . فقد حكى المؤرخي السلوك لأمرلة دون الملوك . بتحقيق الدكتور محمد مصطفى
 زيادة - ١٤ : ٤١٧-٤١٨ حوادث سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) في معرض كلامه
 على الملك المنصور سيف الدين قطز : أنه « بعث بالنصور وأبيه وأمه إلى دمياط ،
 واعتقلهم في برج عمره وسماه برج السلسلة » .

(٣) مرتبات ، واحدها مرتمة ، وهي ضرب من مراكب البحر العظيمة . ذكره ابن
 الأثير في حوادث سنة ٦١٤ هـ بقوله : « . . . وصل إليهم مركب كبير للفرنج من أعظم
 امراكب يسمى مرتمة وحوله عدة حرافات تحميه والحجيم مملوءة من البيرة والسلاح » .

من العبور إلى أرضها ، وأدام الفرنج قتال البرج وتابعوه ، فلم يطفروا منه بشيء ، وكسرت سرمايتهم وآلاتهم ، ومع هذا فهم ملازمون لقتاله ، عسقوا كذلك أربعة أشهر ولم يقدرُوا على أخذه ، ثم بعد ذلك ملكوا البرج ، فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل سرايبهم من البحر المالح في السيل ويتحكموا في البر ، فصب الملك الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً امتنعوا به من سلوك النيل ، ثم إنهم قاتلوا عليه أيضاً قتالاً شديداً كثيراً متتالماً حتى قطعوه ، فلما قطع أخذ الملك الكامل عدة سرايب كبار وملاحها وخرفها وغرقها في السيل فنعت المراكب من سلوكه (١) .

ومن كان عائشاً في هاتيك الأيام المؤرّح الشهر سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) ، وقد تناول بإيجاز خبر حصار الفرنج مدينة دمياط والتضييق على مأصرها البحري . وما ذكره في حوادث سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) ، أن في جمادى الأولى أخذ الفرنج برج السلطنة ، وأرسل الكامل شيخ الشيوخ صدر الدين إلى العادل بخبره ويستصرخ . فما اجتمع بالعادل أخبره ، فدق بده على صدره ومرض مرض الموت (٢) . - ثم واصل كلامه فذكر وفاة الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أبوب بن شادي بن مروان ، وقال : قد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ بخبر برج دمياط ، وأنه انزعج ودق بده على صدره ، وأقام مريضاً إلى يوم الجمعة سابع أو ثامن من جمادى الآخرة ، وتوفي في طابقين ... (٣) .

ويعدّ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي

(١) الكامل في التاريخ (١٢ : ٢١٠ : ٢١١ هـ ، أوربة = ١٢ : ١٣٣ هـ ، بولاق) .
وأخر خزانة كتب الحروب الصليبية (٢٢ : ١١٤ - ١١٥ هـ ، باريس سنة ١٨٨٧ هـ ،
القسم المستل من كتاب كامل التواريخ لأبن الأثير) .

(٢) مرآة الزمان (٨ : ٣٨٩) .

(٣) مرآة الزمان (٨ : ٣٩١) .

المعروف بأبي شامة (المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) من أولئك المؤرخين الذين اتصلوا
بأمور هذه الحرب ، ووقفوا على الكثير من حوادثها وأنبأها . وقد وصف
برج السلسلة في مباء دمياط خير وصف لأنه رأى رأي العيان ، وأفاض في
رواية استيلاء الفرنج على هذه السلسلة ، بقوله : « وفيها (سنة ٦٦٥ هـ) أخذ
الفرنج المازلون على دمياط ، برج السلسلة في آخر جمادى الأول ، فأرسل الكامل
إلى أمته العادل ، شيخ الشيوخ صدر الدين بخبره ويستصرخ به ، فلما اجتمع
بالعادل ، فأخبره ، فدق بيده على صدره ومرص مرص لمرت . قلت : وأذكر
وأنا بدمشق حين بلغ الناس أحد برج السلسلة ، وقد شق على من يعرفه مشقة
شديدة ، منهم شيخنا أبو الحسن السخاوي (علي بن محمد السخاوي) ، ورأيت
يضرب يداً على يد ويعظم أمر ذلك ، وسمعت الفقيه عز الدين بن عبد السلام
يسأله عنه ، فقال : هو قلع الديار المصرية ، وصدق فاني لما رأيته في سنة ثمان
وعشرين (وستمائة^(١) = ١٢٣٠ م) كما سيأتي ذكره ، بان لي صحة ما أشار
الشيخ إليه ، وذلك انه برج عالٍ مبني في وسط النيل ودمياط بجذائه على حافة
النيل من غربه ، وفي ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط ،
والأخرى على النيل إلى الجيزة فيمنع كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها إذا
أريد ذلك حين قتال العدو ، فهو قلع البلاد بالديار المصرية ، إذا أوقفت السلسلتان
امتنع على المراكب العبور إليها ، ومتى لم تكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت
إلى القاهرة ومصر وإلى قوص وأسوان والله المستعان^(٢) .

ثم ذكر وفاة العادل في نفس السنة ، وان « سبب موته انزعاجه من الخبر
الذي جاءه من دمياط ، ان الفرنج استولوا على برج السلسلة ، فدق بيده على

(١) انظر : الدبل على الروستين لأبي شامة (ص ١٦٠ ، القاهرة ١٩٤٧) .

(٢) منتجات من كتب الروستين في « حصار الدولتين : الدورية وإصلاحية » - وهو الجزء
الخامس من حراة كتب الحروب الصليبية (ص ١٦٧ - ١٦٨ ، طبعة بريه دي

مينار ، باريس سنة ١٩٠٦) .

صدره وأقام مريضاً إلى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، فتوفي بمالقيين (١).

وفي المائة الثامنة للهجرة نقل خبر هذا الحدث الخطير في تاريخ مصر، مؤرخ من أشهر المؤرخين، نعي به شمس الدين الذهبي (المتوفى سنة ٨٧٤هـ) فإنه في مجرى كلامه على خلافة الناصر لدين الله العباسي، تعرض بشيء من الإنجاز إلى نزول الفرنج على دمياط والاستيلاء على مآصرها البحري، فقال: في سنة ٦١٥هـ نزلت الفرنج على دمياط، فجهز العادل العساكر إلى الله الكامل ليكشف عنها، فأقبل ونزل تجاه دمياط، ودام الحصار والقتال أربعة أشهر، فأتى الملك العادل في وسط الشدة واستراح، فأخذت الفرنج برج السلسلة من دمياط، وهو برج شاهق في وسط النيل، وسائط من شرقيته والجيزة بمدايه من غربيه، وعلى جنبي البرج سلسلتان عظيمتان تمتد هذه إلى سور دمياط، والآخرى إلى سور الجيزة، تقفل السلسلتان فتمنع المراكب من العبور إلى ديار مصر في النيل (٢).

وقد نحا ابن كثير الدمشقي (المتوفى سنة ٨٧٤هـ) نحو سلفه الذهبي، فما رواه في حوادث سنة ٦١٥ للهجرة، أنه في شهر ربيع الأول «نزلت الفرنج على دمياط وأخذوا برج السلسلة في جمادى الأولى (١٢٦٨ م)، وكان حصناً منيماً، وهو قفل ديار مصر...» (٣).

ثم واصل كلامه بقوله (٤): «وفيها توفي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب، فأخذت الفرنج دمياط، ثم ركعوا وقصدوا بلاد مصر من ثمر دمياط، فحاصروه مدة أربعة شهور، والملك الكامل يقتلهم ويمانعهم، فتملكوا برج السلسلة وهو كالقفل على ديار مصر، وصفت في وسط جزيرة في النيل عند

(١) منتخبات من كتاب الروضتين (ص ١٧٠).

(٢) دول الاسلام (٢ : ٨٨، طبع حيدر آباد ١٣٣٧هـ).

(٣) و (٤) البداية والنهاية في التاريخ (١٣ : ٢٨ - ٢٩).

انتهائه إلى البحر ، ومنه إلى دمياط ، وهو على شاطئ البحر وحافة سلسلة منه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر ، وسلسلة أخرى لمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل فلا يمكن الدخول . فلما ملكت الفرنج هذا البرج ، شق ذلك على المسلمين ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر ، تأوه لذلك تأوهاً شديداً ودق بيده على صدره أسفاً وحرناً على المسلمين وبلادها ، ومرض من ساعته مرض الموت لا يمر يريد الله عز وجل . فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية عالقين .

وكان تقي الدين المقرئ (المتوفى سنة ٨٢٥ هـ) مؤرخ مصر ومدون حطتها وأخبارها وآثارها ، قد أفاض الكلام في دمياط وزمن إنشائها فأصرها البحري وما أصاب تلك المدينة والمناصر من نكبات الفرنج على كبر السنين ، وفي قوله فائدة وموعظة تاريخية بليغة . قال : « دمياط كورة من كور أرض مصر ، بينها وبين تميمس اثنا عشر فرسخاً .. ولما قدم المسلمون إلى أرض مصر ، كان على دمياط رجل من أخوال المعوقس يقال له الهاموك .. ، وما رالت دمياط بيد المسلمين إلى أن نزل عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة ، فأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك ، وسبروه إلى ملك الروم ، فأنفذه إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم . فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نزل الروم دمياط في ثلثمائة وستين مراكباً فقتلوا وسبوا ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائة . ولما كانت الفتنة بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون ، وكانت الفتن بأرض مصر ، طمع الروم في البلاد ونزلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ، ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله ، وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق ، نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٢٩٠ آب سنة ٨٥٢ م) ، فملكوها وما فيها ، وقتلوا بها جمعاً كثيراً من المسلمين ، وسبوا النساء والأطفال^(١) ... فأمر المتوكل ببناء

(١) انظر هذا الموضوع في الولاة والقضاة لالكندي (ص ٢٠١ - ٢٠٢) .

حصن^(١) دمياط ، مابتدىء في بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين (ومائتين) ، وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر ، فلما كان في سنة سبع ، طرق الروم دمياط في نحو مائتي مركب ، فأقاموا بمبشور في السواحل شهراً وهم يقتلون ويأسرون ، وكانت للمسلمين معهم معارك ، ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الاحشيدي ، طرق الروم دمياط لعشر خلون من (شهر) رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة (حزيران ٩٦٧ م) في بصع وعشرين مركباً فقتلوا وأسروا . ، وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى ، والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك ، نزل على دمياط نحو ستين مركباً في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة (آب ١١٥٥ م) . فماتوا وقتلوا . ، وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب للعاقد ، وصل الفرنج إلى دمياط في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وخمسمائة (١١٦٩ م) ، وهم فيما يريد على ألف ومائتي مركب ، فخرجت العساكر من القاهرة ، وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار ، فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوماً ، وكانت صعبة شديدة . ، وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة (١١٨٩ م) رتبت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب إلى السلسلة ليقاقل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين . ورم شمت سور المدينة وسدت ثمة ، وأتقت السلسلة التي بين البرجين ، فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار ، واعتبر السور^(٢) ، فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلثين دراعاً . وفي سنة ثمان

(١) حكى الفريري في حططه (١ : ٢٩١) : ان المتوكل « أمر ببناء حصن على البحر بقتيس ، فتولى عمارة عتبة بن اسحاق أمير مصر ، وأتفق فيه وفي حصن دمياط والبرما مالا عظيماً » وفي كلامه على مدونة الفرما (الخطط ١ : ٣٤١) ، قال : « ... وبني بها المتوكل على الله حصن على البحر تولى بناءه عتبة بن اسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين ، عندما بنى حصن دمياط وحصن قتيص وأتفق فيما مالا عظيماً ... » .

(٢) قال العلامة شندي (صبح الأعشى ٣ : ١٠٦) : « ان دمياط كان عليها أسوار من »

وثمانين وخمسمائة (١١٩٢ م) أمر السلطان بقطع أشجار^(١) بساتين دمياط وحر
خندقها ، وعمل جسر عند سلسلة البرج . وفي سنة خمس عشرة وستائة
(١٢٩٨ م) كانت واقعة دمياط العظمى ، ... فبرز العريخ ... وعزموا على قصد
الديار المصرية ، فركبوا بمجموعهم البحر ، وساروا إلى دمياط في صفر ، فنزلوا
يوم الثلاثاء رابع (شهر) ربيع الأول سنة خمس عشرة وستائة (٣١ أيار ،
سنة ١٢٩٨ م) ، وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف رجل ، فخيّموا
تجاه دمياط في البر الغربي ، وحمروا على عسكرهم خندقاً ، وأقاموا عليه سوراً
وشرعوا في قتل برج دمياط ، فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد
غلاظ تمد على السيل لمنع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول إلى ديار
مصر في النيل ، .. وفي مدة إقامة العريخ بهذا البر الغربي عملوا الآلات والمراسي
وأقاموا أبراجاً يرحمونها في المراكب إلى برج السلسلة ليجلّكوه ، فانهم إذا
ملكوه تمكنوا من العبور في النيل إلى القاهرة ومصر ، وكان هذا البرج
مشحوناً بالمقاتلة ، فتجهّز العريخ عليه وعملوا برجاً من الصواري على بطن^(٢)
كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها إليه ، وقالوا من به حتى أخذوه .. ، واشتد
العريخ وألحقوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلاسل
المقعدة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد ، فنصب الملك لكامل
بدل السلاسل جصراً عظيماً لمنع العريخ من عبور النيل ، فقاتلت العريخ عليه

== عمارة المتوكل أحمد حاكم بني العباس ، بها تسلطت عليها امريخ وملكتم مرة بعد
مرة ، حريت اسمهم سوارها في سنة ثار وأريهين وسنة ثة [١٢٥٠ م] حوة
من اسيلاتهم طيو ، وهي على ذلك الى الآن .

(١) روى المقرئ في حوادث سنة ٥٥٨٨ هـ [١١٩٢ م] : (السوك ١ : ١١١) ،
انه كتب فلاحاً مدينة سيس ، ونقل أهلها إلى دمياط ، وقطع أشجار بساتين دمياط ،
واخراج النساء منها ، تلك تنيس الا من المقاتلة ، وحرر خندق دمياط ، وعمل جسر
عند سلسلة البرج بها .

(٢) في المطبوع « بطلقة » ، وهو تحريف : صوابه ما في أصله .

قتالاً شديداً الى أن قطعوه ، وكان قد أُنْفِقَ على الرج والجمر ما ينيف على سبعمائة ألف دينار ، وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط لتدبير الامور وإعمال الحيلة في مكابدة الفرنج ، فأمر الملك الكامل أن يفرق (كذا ، وصوابها يفرق) عدة من المراكب في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل .^(١)

ومن نقل خبر دمياط ومأصرها البحري واستيلاء الفرنج عليها ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تعري بردي^(٢) (المتوفى سنة ٨٧٤ هـ) ، وقد صرح بأنه أحد الرواية عن سبط ابن الجوزي السالف الذكر ، كما أن جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ، تناول الكلام عليها ناقلاً أقواله^(٣) عن تقدمه من المؤرخين الذين أوردنا أخبارهم .

ولعل آخر من تناول أخبار المأصر البحري في ميناء دمياط ، هو ابن إياس المؤرخ المصري (المتوفى سنة ٩٣٠ هـ) ، فقد حكى انه « لما ملك المسلمون مدينة دمياط ، أشار الأمر ، على السلطان بهدم مدينة دمياط ، فأرسل اليها الهدادين فهدموها عن آخرها ولم يبق منها سوى الجامع الكبير ، ووقع

(١) حطط القريري (١ : ٣٤١ - ٣٤٩) ، وقد نقل هذه الأحاديث عنها علي باشا مبارك في كتابه « الحطط التوثيقية الحديثة لمصر القديمة » (١١ : ٣٦ - ٣٨) . وقد تناول القريري أيضاً في كتابه « السلوك » (١ : ٧٢) حوادث سنة ٨٧٧ هـ و من ١٨٨ - ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، حوادث سنة ٩١٥ هـ (الاحاديث التي حروها في حططه سعيد يسير لا يخرج به من المقصد نفسه . نقول : ومن المهم ذكره ان القريري اعتمد في رواية هذه الحوادث على ابن الانبار اعتماداً كلياً ، وزاد عليه بعض أمور في حطط دمياط ومأصرها .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٦ : ١٧٠) ، حوادث سنة ٨٩٧ هـ و ٢٢٢ : ٦ حوادث سنة ٩١٥ هـ طبع دار الكتب المصرية .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء (من ٣٥٢ - ٣٠٣) ، القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (٢ : ٢٨) حوادث سنة ٩١٥ هـ .

فيها الهدم في يوم الاثنين ثامن شعبان سنة ثمان وأربعين وستائة (١٢٥٠ م) ، واستمرت من يومئذ حراباً ، وصار مكان بيوتها أخصاصاً من القن على شاطئ بحر النيل يسكن فيها جماعة من الصيادين وسحوها المشية ، واستمرت على ذلك إلى دولة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فأمر بتجديد عمارتها ، فأرسل إليها جماعة من النائين والحجارين ، وكان ابتداء عمارتها في سنة خمسين وستائة (١٢٥٢ م) ، فجدد بناء سورها ، وأمر مردم قم البحر الذي تدخل منه مراكب الفرنج ، فدموه من القرايبس^(١) التي كانت هناك من الهدم القديم ، فامتصت المراكب الكمار من الدخول إلى بحر النيل من يومئذ . ثم إن الملك الظاهر أمر بإعادة السلسلة الحديد التي كانت من البر إلى البر ، قيل إن هذه السلسلة كانت في أيام الممقوقس عظيم القبط ، ثم بطلت فأمر بإعادتها كما كانت^(٢) .

(ب) مآصر الاسكندرية :

الاسكندرية أحل ثغور الديار المصرية وأعظمها شأنًا ، فهي تطل على نهر بحر الروم ، وإليها تهوي ركائب التجار في البر والبحر ، ونهر من قاشها جميع أقطار الأرض ، وهي فرصة بلاد المغرب والأندلس وجزائر الفرنج وبلاد الروم والشام .

أما أهلها فهم على يقظة من أمور البحر والاحتراز من العدو الطارق ، ومع هذا لم تنج من هجمات العدو الذي انتابها غير مرة واجتاح أهلها ، وقتل وسبي ، فكان ذلك سبباً محتوماً للعمل على تحصينها منيماً من البر والبحر ، فنصب المآصر دو السلاسل الحديد على قم^(٣) مينائها ، ورتبت المقاتلة على أبراجه .

(١) القرايبس ، واحدها القرامس : بمعنى كتل الأحجار . وهي من الألفاظ النخبة التي تستدرك على المحجمات العربية .

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور (١ : ٨٧ ، بولاق سنة ١٣١١ هـ) .

(٣) نعمة النظار (١ : ٢٨ ، طبعة باريس) .

والذي يؤسف له ان أنباء هذا المأمر صنيعة المقدار في المراجع القديمة ،
فهذا القلقشمدى (المتوفى سنة ٨٧٩ هـ) أشار إشارة خفيفة اليه في عرض كلامه
على آلات الحصار ، فقال « وقد رأيت بالاسكندرية في الدولة الأشرفية ،
شعبان بن حسين في نيابة الأمير صلاح الدين بن عزام رحمه الله ، مدفعا قد
صنع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد ، رمي عنه من الميدان ببندقته
من حديد عظيمة ضخمة ، هوفعت في بحر السلسلة خارج باب البحر ، وهي مسافة
بعيدة » (١) .

وقد تدارك علي باشا مبارك هذا الاقتضاب في اوصاف ، فأفاد في صفة
الاسكندرية ، وأشار غير مرة إلى برج سلسلة المأمر في ميثاقها . ودونك
بعض ما دونه . قال في أسوار مدينة الاسكندرية « قد استدل من البحث
الذي أجراه العالم الفاضل محمود بك الفلكي (المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ) على حدران السور
القديم الذي كان لهذه المدينة أن عرضه كان خمسة أمتار وقد تقع أثره من ابتداء
برج السلسلة الذي كان يسمى قديماً (رأس لوشباس) إلى الحفرة . . . وقد طهر
أن السور من برج السلسلة إلى الميناء الغربية كان يتبع مسير الساحل » .

ثم قال : « وكان من ضمن الحارات العرضية ، شارع يخرج من برج
السلسلة بسبب انه كان به مرآة ملوكية . ، إن أراضي المدينة لم تكن مستوية ،
وكانت منقسمة بطبقة (٢) الأرض إلى قسمين بواحد يختلف عرضه وابتداء
الوادي المذكور من برج السلسلة ، ويمتد إلى بحيرة مريوط . » .

ولدى كلامه على جزيرة فاروس ، قال : « كانت هذه الجزيرة في الأيام الحالية
محصنة بأسوار وأبراج في دوائرها ... والشعب الممتد في البحر بين برج لسلسلة
والجزيرة من جهة وبين المعجم والجزيرة من الجهة الأخرى ، يدل ذلك على أن

(٢) صبح الأمل (١ : ١٣٧) .

(٢) كذا ، ولعل الصواب بطيعة .

هذه التجربة والشعب المذكورة أصلها من الساحل وانعصلت منه بمجادلة حدثت
في الأزمان العتيقة . »

ثم واصل كلامه على الميناء الشرفية التي يطل عليها برج السلسلة ، فقال إن
« هذه الميناء هي التي مشهورة (كدا) في الأيام العتيقة ، ويسمونها
الاسكندرايون الآن بالميناء الجديدة . وكان مدخلها صيقاً وبه شعب وصخور
كثيرة ، منها ما يظهر على سطح الماء ، ومنها ما هو مغطى به ، وكان في داخلها
سرايات كثيرة للملوك ، بعضها مبني على الصخور الطبيعية ، وبعضها بني فوق
صخور حادته ، وكان ساحلها من ابتداء برج السلسلة إلى آخر السبع غلوات
(الجسر المسمى هيبستاد) مزينةً بسرايات الفخورة والمباني البهجة . وقد عثر
محمود بك أثناء بحثه عن آثار اسكندرية القديمة على بوقر من الجمر المذكور ،
وتلك البراقي متجهة من برج السلسلة إلى جهة مدخل الميناء ويمتد إلى ما يقرب
من متر تقريباً . ويظهر أن الحفر الموحودة الآن في مدخل الميناء كانت من صحن
الحجر ، فإن كان كذلك ، كان طول الجسر من ابتداء برج السلسلة نحو ٩٠
متر في الطول و ٦٠ في العرض ، ومن هذا يعلم أن الميناء كان مقفولة من جميع
الجوانب ما عدا أهم الذي كانت سفين مدخل منه ، أي هو من جهة المار
وعرضه ٦٠ متر والطول ٦٠ متر . كان مقفولاً إلى قسمين ، أحدهما صغير وهو الذي
كان من جهة المار ، وقدره ١٠٠ متر تقريباً ، والآخر عرضه ٢٠٠ ، وكانا
منفصلين بصخرة وهي الآن تحت الماء بقدر ٧ أمتار . وفي كتاب « ماني
الفرنساوي » (ألفت سنة ١٧٣٥ م وهو يبحث في مصر) ، أن الفتح الكبري
كانت بقرب المار وننتهي بصخور بي فوق قلعة ومنازلتان ، والفتح الثانية
كانت بعد هذه ، وكان على نهايتها من جهة برج السلسلة منار ثالث انهدم ولم
يبق له أثر في وقته ، وكانت المراكب تمر بين الثاني والثالث من المنارات ، ولكنه
لسره وكثرة صخوره كان لا يستعمل إلا للمراكب الصغيرة ، والآخر هو
الذي كان يكثر استعماله ، وكانت الفتحات المذكورة تفعل بسلاسل من الحديد .

وقد هنر محمود بك أيضاً على آثار الميناء الصغيرة التي هربى برج السلسلة ومتصلة به ... ، وظن أنها الجزيرة التي كان فوقها سراية التينوم وكان يتوصل منها إلى البر بجسر في منتصف المسافة التي بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات ، والمسافة الكائمه بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات طولها ٢٢٠٠ متر، وكان به السرايات الملوكية ومباني البحرية، وكانت إحدى السرايات المسماة بالسراية الرائية محل برج السلسلة ، ولعل سبب تسميتها بذلك خروجها عن الميناء ، وكان بقرب السراية من جهة الشرق ما بين برج السلسلة والسلسلة برج عظيم السعة ... ، والسرايات الأخر كانت بين هذه السراية وبرج السلسلة «

وفي عرض كلامه على خليج الاسكندرية دل ان « هذا الخليج كان محادياً لسور المدينة القبلي ، وكان على الخليج اقدم ثلاث قنطرة .. وكانت القنطرة المذكورة على أبعاد متساوية، الأولى في حهة البلد ... ، والثانية في معابدة الشارع الموصل لرأس السلسلة ... » (١).

(ج) مآصر شبرا :

لم نعر على حبر صريح يذكر وجود مآصر في هذه البلدة ، ولكن إشارة حفيظة ذكرها علي باشا مبارك أثناء كلامه على الاسكندرية ، قال ان شيديا « كانت على بعد أربعة وعشرين فرسخاً من اسكندرية ماءً على ما ذكره استرابون وغيره، وكانت كثيرة العمران تقرب من أن تعد من المدن لكثرة أهلها. وكانت مركزاً لأخذ الجرك من المراكب الحادرة والمقلعة ، ولذا قال استرابون انه كان هناك قنطرة من المراكب على النهر ، واسم القرية مستعار من اسم القنطرة ... » (٢).

(١) حطط مصر الحديثة (٧ : ٣٥ - ٤٥) .

(٢) حطط مصر الحديثة (٧ . ٤٥ - ٤٦) .

(د) مَأْصِرُ السُّوَيْسِ :

السويس بلد متوسد ساحل بحر القلزم، وهو ميناؤه أهل مصر إلى مكة والمدينة،
 بينه وبين القسطنطينية سبعه أيام ، وأخبار مأصره ضئيلة . وقد انفرد المقرئزي
 بالتعليق إلى برجه في كلامه على حوادث سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) ، قال : « في
 (شهر) ربيع الأول طرق العرج ساحل تنيس ، وأخذوا مراكباً للتجار ، ووصلت
 مراكب من دمياط كانت قد استدعيت من حمين مراكباً لتكون في ساحل
 مصر وكل بناء برج بالسويس يسع عشرين فارساً ، ورتب فيه الفرسان لحفظ
 طريق الصعيد التي يجلب منها الثب إلى بلاد العرج ، وأمر بمارة قلعة
 تنيس » (١).

أو كان هذا البرج من الأبراج البرية التي تُشاد لحفظ العرق وتأمينها من
 عائلة العدو . أم من أبراج المأصر البحرية التي مر بها غيرها في تضاعيف بحثنا ؟

مَأْصِرُ الشُّمُونِ

الشُّمُونُ ، وقيل فيها « الأشموني » ، وصعها اللدانيون تكونها مدينة قديمة
 أزليه . عامرة ، آهلة وهي قصة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل ،
 ذات بساتين ونخل كثير رارها « ابن بطوطة » في حدود سنة ٨٢٥ هـ
 (١٣٢٥ م) ، وشاهد فيها شيئاً قد يكون مأصراً ، أو ما يشبه المأصر . قال :
 « ثم سافرت إلى مدينة أشمون ارمان . ونسبت إلى الرمان لكثرة بها . وهي
 مدينة عتيقة كبيرة على خليج من حلق النيل . وها قطرة حشب ترسو المراكب
 عندها ، فإذا كان العصر رفعت تلك الخشب وحارت المراكب صاعدة
 ومنحدرة » (٢).

(١) اسلوك (١ : ٧٢) .

(٢) بحره بشار (١ : ٦٦٠) حده بريس .

فلعل قنطرة الخشب هذه كانت كالمأصر لهذه المدينة . يجري فيها التقطيش على
المراكب الراسية ، وأخذ العشور والضرائب^(١) من أصحابها .

(و) مأصر القاهرة .

أشربنا غير مرة في ما مضى من بحثنا هذا ، إلى أن المأصر النهريه والبحريه
والبرية ، اتخذت لهذا أحطار الغزو التي يقع بين حين وآخر على البلاد ،
ولتنظيم سبل التجارة ، وتسهيل أمر استيفاء الضرائب والعشور . ولكنها هاهنا
في القاهرة لم تتخذ هذه الأغراض ، بل نصبت لأمر قريب عرّب انقردت به دون
ما سواها من المدن الزاكية سواحل السحار الملحة ، وضفاف الأنهار . وسأقص
عليك من أخبار هذا المأصر العريد ما وقعت عليه من الأنباء .

إن من حملة الخليجان الخمسة التي بظاهر القاهرة ، خليجاً^(٢) يعرف بـ « خليج
هم الظور »^(٣) . قال المقريري انه « يخرج الآن من بحر النيل وينصب في الخليج
الناصرى ليقوى جري الماء فيه ويغمره . وكان قبل أن يحفر الخليج الناصري

(١) عن الضرائب والعشور بمصر ، انظر « دليل مصر » .

(٢) الخليج ، على ما في تاريخ امردوس : هو في شواطئ البحر لاسطيم . وهذا هو ما جاء
وأشبه :

أي في مصر كسكب متباين
فيمن الخليج منه حبيبتان
وفي الحديث : أن فلاحة ساقى خليجاً ، الخليج هو البحر . من البحر لاسطيم أي
من البحر ينصب به فيه . والخليج ثمة من البحر . وهو من سببه : هو ما أعظم من
مظم الماء لأنه يحد منه وقد احتاج . . . من الخليج ثمة تشعب من الوادي والجم
خليج وداجان .

(٣) قال في التاج (٣ : ٩٢) : « مدده . ح ا ر ا » « الخور مثل انوار استجمع انصبحت
من الأرض بين النهرين . والخور : الخليج من البحر ، وقيل نصب الماء في البحر ،
ونيل هو مصب المياه الخارية في البحر اذا اجمعت وجر من . وقال ثمر : الخور حلق
من البحر يدخل في الأرض ، واجه حوؤور . قال الصديج يصف الحصاة :
اذا اتجى نحو حوؤ مسمور . وقارة سفن في الخوؤور . نفهي من المسمور . »

بعد خليج الذكر ... (١)

وكان هذا الخليج من مشتهات أهل القاهرة ، وأحد مواطن اللهو والتيه ،
يمرون فيه بالمراكب للتنزه ، وكان أكثر رواده من أهل القصف والبطالة ،
« فظهر من المكرات ما لم يمهّد في مصر في وقت من الاوقات ... فركب أهل
الخلاعة وذوو الصالة في مراكب في نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر
وبأيديهن المراهر يصربن بها وتسمع أصواتهن ، ووجوههن مكشوفة ،
وحرقاؤهن من الرجال معهن في المراكب لا يتمور عنهن الايدي ولا الابصار ،
ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيئاً من أسباب الانكار ، وتوقع أهل المراقبة
ما يتلو هذا الخطب من المفاقة » (٢) .

وكان على خليج قم الخور قنطرة واحدة هي المسماة بـ « قنطرة المقسي » (٣) .
قال المقريري ، ان قنطرة المقسي هذه « على خليج قم الخور وهو الذي يخرج
من بحر النيل ويلتقي مع الخليج الناصري عند الدكة فيصيران خليجاً واحداً
يصب في الخليج الكبير . كان موصفاً جمرأ يسقند عليه الماء إذا بدت الزيادة
إلى أن تكمل أربع عشرة دراعاً فيفتح ويمر الماء فيه إلى الخليج الناصري وبركة
الرطلي » (٤) ... وما زال موضع هذه القنطرة سداً إلى أن كانت وزارة الصحاح
شمس الدين أبي المرح عبد الله المقسي في أيام السلطان الملك الاشرف شعبان
بن حسين ، فأنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به ، واتصلت العماير أيضاً بمجانبي
هذا الخليج من حيث يتدفى . إلى أن يلتقي مع الخليج الناصري ، ثم خرب

(١) خطط المقريري (٢٣٥ : ٣) .

(٢) خطط المقريري (٢٣٣ : ٣) .

(٣) انظر كلاماً موصلاً على المقسي ، في خطط المقريري (٢٠٨ : ٢ - ٢٠٩ : ٤ و ٣ : ١٩٦ - ١٩٧ : ٤ و ٦٥ : ٤) .

(٤) انظر بركة الرطلي في خطط المقريري (٢٦٣ : ٣ - ٢٦٤ : ٤) وفي بدائع الزهور (١٦٣ : ١ - ١٦٤ : ١) .

أكثر ما عليه من العمار والمساكن بعد سنة ست وثمانمائة (١٤٠٣ م) . وكان
 للناس بهذا الخليج مع الخليج الناصري في أيام النيل مرور في المراكب للذهاب
 بخرجون فيه عن الحد بكثرة التفتك والتمتع بكل ما يلبي ، إلى أن ولي أمر الدولة
 بعد قتل الملك الأشرف شعبان بن حسين ، الأميران : برقوق وبركة ، فقام
 الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر بجمع المراكب من المرور بالمنعرجين في الخليج ،
 واستغنى شيخ الاسلام مناج الدين عمر بن رسلان البقفي ، فكتب له بوجوب
 منعهم لكثرة ما ينتهك في المراكب من الحرمات ويتجاهر به من العواحي
 والمكرات ، فبرز مرسوم الأمير المذكور بن منع المراكب من الدحول إلى
 الخليج ، وركبت سارية على قلعة المقسي هذه في شهر ربيع الأول سنة
 إحدى وثمانين وسبعمائة (١٣٧٩ م) ، فامتعت المراكب بأمرها من عبور هذا
 الخليج ، لا أن يكور فيها غلة أو متاع ، ففقد الناس لذلك وشق عليهم . وقال
 الشاب أحمد بن العطار الدنيسري في ذلك :

حدث هم الخور المسلسل ماؤه بقنطرة المقسي قد سار في الخلق
 ألا فاعجبوا من مطلق ومسلسل يقول لقد أوقفتم الماء في حلق
 وقال

تسلسل^(١) قنطرة المقسي مما سافد جرى والمنع أضحى شاملا
 وقال أهل طينة في مجهم قوموا بنا تقطع السلاسل
 ولم تزل مراكب العرجة ممتعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الطاهر
 برقوق في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (١٣٨٨ م) ، فأذن في دخولها وهي
 مستمرة إلى وقتنا هذا^(٢) .

وقد تطرق لسيوطي إلى هذه السلسلة حينما ساق الحوادث الغريبة الكائنة

(١) في المطبوع « تسلسل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٢) خطط القريري (٣ : ٢٤٤ - ٢٤٥) .

بصر في منه الاسلام ، وقال « في سورة إحدى وثلاثين (وسبعمائة) ، رسم
الأمير بركة . نال يميل على قنطرة فم القور سلسلة تمنع المراكب من الدخول
والى بركة الرطلي . فقال بعض الشعراء في ذلك :

أطلقت دمعي على خليج مذ سلسوه فراح مقفل
من رام من دهرنا عجيباً فلينظر المطلق المسلسل^(١)

وفي أيام اردهار هذا الخليج وارتباده من أهل الخلاء والقصف وذوي
الآداب والطرف ، عُمِرَت البقاع المطلة عليه ، فأنشأ الناس « بها دياراً جليلاً تنامي
أربابها في حكام ، وأحسن سموفها ، وبالفرا في زخرفتها بالرخام والدهان ،
وغرسوا بها الأشجار ، وأحروا إليها المياه من الآبار ، فكانت تعد من المساكن
بديعة البرية . فكم حوت تلك الديار ، من حسن ومستحسن » . قال من
شاهدها « ما صررت بها قط إلا وتبين لي من كل دار هناك آثار النعم ،
إما روائح نفالي المصالح ، أو عبير بخور العود والند ، أو نفحات الحر ، أو
صوت عواء ، أو دق هاوون ونحو ذلك . ما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاة
عيشهم وغصارة نعمهم . ثم هي الآن موحشة حراب ، قد هدمت تلك المنازل
ويبعت أنقاضها مد كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة (١٤٣٠ م) ، فرالت
الطرق وجهت الآرة » ، تلك هي العاقبة « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترقيها فمستقوا فيها فحق عليها القول قد صرناها تدميراً »^(٢).

١ - حسن الله مرة ٢ : ١٦٣ ، المنظمة الترفية ٢ : ١٨٢ ، مطبعة الموسوعات

بصر ، سنة ١٣٢١ (٥)

(٢) سورة الاسراء (١٧ : ١٥) .

عصل الرابع

مأصر باب الأبواب

اشتهرت باب لآبواب بمأصرها البحري الذي تافت به ما سواها من المدن
 ذات المأصر . فمن دونه الاصطعري في هذا السبيل قوله : « وأما باب الآبواب
 فابها مدينة على البحر وفي وسطها مرسى للسفن . وفي هذا المرسى وبين البحر
 قد بُني على حافتي البحر سدان حتى صاق مدخل البحر وجعل مدخله سوياً .
 وعلى هذا العم سلسلة من دوة لا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمره . وهذان
 السدان من صخر ورصاص وباب الأبواب في بحر طرسستان » (١).

ولا نعدو وجه الصور إذا ما قلنا إن الرحلة إلى حوقل ، حرم من دونه حرم
 هذه « مأصر البحيرة » وإذا شئت ألا يصح عما نقول ، فانظر وصفه لما « ومدينة
 باب الآبواب » مدينة على بحر الخزر ، في وسطها مرسى للسفن ، وفي هذا المرسى
 الخارج من البحر إليها بناء قد بُني كالسد من حديد مدان على ما ، هذا المرسى
 الخارج مأوّه من بحر الخزر . وفي هذا السد باب معاق على ما قد استحكم من
 وصيده بمقد قد عقد على نفس الماء . وده من سكة . والسفن مدخل مقبوض
 من ناحية بابه ، وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه اسم سلسلة ممدودة كالتي
 بصور وبيروت بالشام وعلى خليج مستطبة . وعينها فتق من نظر في أمر
 البحر ، فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب هذا . والسد من صخر
 ورصاص » (٢).

ومن تصدي لذكرها أيضاً النشاري ، القائل أن « من المعجائب .

(١) - من ذلك المعجائب (ص ١٨٥) ولانسانه : اخرج قدما من شهر (ص ٢٥٩ -

٢٦١) ، وبحقة الاسماء في راجع الورد (ص ٢٧ - ٢١٨)

(٢) صورة الأرض (ص ٣٣٩) .

الباب ، وهو حصن على ما ذكرنا من صور وعكة بسلسلة قد بني من الصخر ، وجعل ملاطه الرصاص ... » (١).

ثم قال في صفة باب الأبواب أنها : « على بحر الخزر (محصنة في الحائط الذي من قبل الخزر ، لها ثلاثة أبواب : باب الكبير ، وباب الصغير ، وباب آخر نحو البحر مسدود لا يفتح ، وعدة أبواب من قبل البحر وقبل الاسلام ، والحائط قد مدّ من الجبل إلى وسط البحيرة عليه أبرجة ... » (٢).

ولم يفت الشريف الإدريسي البلداني الشهير (المتوفى سنة ١١٦٠ هـ) وصف هذه المدينة ومينائها ذي السلسلة العجيبة ، بقوله إنها « مدينة عظيمة على بحر الخزر ، وفي وسطها مرسى للسفن ، وعلى فم هذا المرسى الخارج إليها بناءان كالسدّين من جانبيه ، وهناك سلسلة تمتع الداخل والخارج ، إلا بأمر من صاحب البحر ، وهذان السدان من الصخر المحكم أفرغ بينه الرصاص ... » (٣).

وفي المائة الثامنة للهجرة نقل لنا صفتها بلداني آخر ، نعي به صفي الدين بن عبدالحق (المتوفى سنة ١١٣٩ هـ) ، ويلوح لنا أنه أخذ هذا الوصف عن ياقوت (٤) ، دالك الذي استند إلى وصف الاصطخري الآنف الذكر لسلسلة باب الأبواب . قال ابن عبدالحق : « باب الأبواب مدينة على البحر ، بحر طبرستان وهو بحر الخزر ، ربما أصاب البحر حائطها ، وفي وسطها مرسى السفن ، قد بني على حافتي البحر سدّان ، وجعل المدخل ملتوياً ، وعلى هذا العم سلسلة ، فلا يخرج للسفينة ولا مدخل إلا بأمر ... » (٥).

(١) أحسن التقاسيم (ص ٣٨٠) .

(٢) أحسن التقاسيم (ص ٣٧٩) .

(٣) مختصر برهه المشتق في احتراق الآفاق (ص ٢٨٤ ، طبع رومة سنة ١٥٩٢ م) .

(٤) معجم البلدان (١ : ١٣٧) .

(٥) مرآة الاطلاع (١ : ١١١) .

وبعده بمدة يسيرة ، أشار إليها مراج الدين عمر بن الوردي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) ، بقوله : « أما الباب فبناها أنوشروان على بحر الخزر ... » ، وبها مرسى الخزر وغيره ، وعليه سلسلة تمنع الداخل والخارج »^(١).

الفصل الخامس

مأصر المهديّة

المهديّة هذه هي التي بأفريقية ، بينها وبين القيروان مرحلتان من جنوبها . قال بطليموس : مدينة برقة وهي المهديّة . أما مأصرها فقد وصفه بإقوت بما هذا نعه : « ... قال (أبو عبيد البكري) : ومرسى المهديّة منقور في حجر صلد ، يسم ثلاثين مركباً . على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة حديد ، فإذا أريد إدخال سفينة ، أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ، ثم يمدونها كما كانت تحبباً لها »^(٢).

ونظير هذا القول ما حكاه القزويني في صفة المهديّة ومينائها والسلسلة الراكّة عليه ، غير أنه ذكر عدداً آخر للسفن التي يسمها هذا الميناء ، واليك قوله : « ... ومرساها منقورة في حجر صلد يسم مايتي مركباً (كذا) ، وعلى طرف المرسى برجان بينهما سلسلة حديد ، إذا أريد إدخال سفينة أرسل الحراس أحد طرفي السلسلة لتدخل الخارجة ثم يمدوها ... »^(٣).

————— 0 —————

(١) خريطة المعائب وفريدة المراتب (ص ٩١ ، طبع مطبعة شامى بمصر ، سنة ١٢٨٠ هـ)

= ص ٤٧ ، طبع مطبعة عبد الرزاق بمصر ١٣٠٣ هـ .

(٢) معجم البلدان (١ : ٦٩٥ - ٦٩٦) .

(٣) آثار البلاد (ص ١٨٣ - ١٨٤) .

ذيول البحث

الزبل (الذول)

« القلوس »

(راجع : صفحة ١١ احادية ٢)

القلوس ، واحدها القلس . وهو على ما في تاج العروس (مادة ق ل س) :
 جبل صخيم من ليم أو حوص قال ابن دريد . « وأما القلس الذي يتكلم به
 أهل العراق من هذه الجمال ، لا أدري ما صحته ، أو هو جبل غليظ من عبرها
 من قلوس سمن البحر ، ولو قال من قلوس السمن كان أصاب في حسن الاختصار ،
 فإن السمن لا تكون إلا في البحر . وروى أيضاً القلس بالكسر ، وهكذا صغته
 ابن القتيبة ، قال قلس السمين يقلصها إذا ربطها بالقلس ... »^(١) .

وتستخدم القلوس لأغراض رشتي ، منها تثبت الجسور قال هلال الصافي :
 « بعضات الجسر من ونح ما يبدل من سفنها والقلوس وأرزاق الجسارين من حلة
 ثلثمائة دينار في الشهر عشرة دنائير »^(٢) .

ويتحدث الملاحون لسفهم السهرية كما ذكر ذلك القاضي التوسحي ، في معرض
 كلامه على أحبار حطة الرمكي . قال : « .. قال وأخبرني أنه كان معه في
 حديدي^(٣) لاس الحواري ، وقد حمهم إلى بلا شكركر ليمرجوا ، والحديدي
 يمدّه الملاحون بالقلوس »^(٤) .

واتحدث القلوس لبعض الأعراس في إقليم الأهراس ، من ذلك ما ذكره

(١) السهرية (٣ : ٢٠ ، طبعة حيدرآباد)

(٢) تحفة الأسراء في تاريخ الورداء (ص ٢١) .

(٣) الحديدي : ص ١٠٠ من - من في - - - - -

(٤) مشوار المحاضرة (١ : ٢٠٦) .

صاحب التكملة في حوادث سنة ٣٥٩ هـ (٦٦٩ م) . قال : « ومحل (أبو الفضل العباس بن الحسين الخزازي) ، دعوة لمر السوية . وقطع دحلة من فوق الجسر ، إلى دار الخلافة بالقوس الفلاظ . وطرح الورد فيها حتى ملاءها وعطا (كذا) دحلة » (١) .

والمعاص أسداده ، فقد أخذت القوس لصرب والتعديت والمعاص . ثم جملة أحوالها في هذا العدد ما حكاه السعدي : « .. فصر به بالسوط والقوس وانقارع والفرقة على ظهره وبطنه وقدمه ورأسه وأسفل رجليه وكماه وعضله ، حتى لم يكن فيه بلصرب موصم . ولمنع به ذلك إلى حالة لا يعقل ولا ينطق .. » (٢) .

وكذلك ما ذكره مسكويه وهلال السدائي في عرص كلامهما على ابن الفرات ، قالوا : « فوقع نار برك الشكاره بالبحس حتى بدود مدنه ، ولم يبق فيه فضل لصرب ، وصر ابن الفرات ثلاث دفعات بالقوس فلم يمت شيئا » (٣) .

* * *

الزبل (الثاني)

« من أخبار (البرجي) الميار »

(راجع : المصلحة ١٤ الحاشية ١)

قال ابن الجوزي : « وقوي أمر المبرس وكبس رئيسهم البرجي حاداً فأخذ ما فيه ، فقتل وقتل جماعه . وكان يأخذ كل مصعد ومسحدر ، وكبس داراً بسوق يحي وأخذ ما فيها وأحرقها ، هذا وبمسكر ببغداد » (٤) .

(١) تحارب الأمم (٦ : ٢٦٩ ، حاشية ١) .

(٢) مروج الذهب (٨ : ١٥٥) .

(٣) تحارب الأمم (٥ : ١٣٦ ، حوادث سنة ٣٩٢ هـ) ونظرة الأمراء (١ : ٥٩) .

(٤) المنتظم (٨ : ٦٦ ، حوادث سنة ٤٢٣ هـ) .

المصنفة الحالية إلى ما وراء حصر تعداد الأسفل (حصر الثالث فيعمل) . قال
أبو المطهر يوسف بن قراعي المعروف بسطاس الجوزي في حوادث سنة
٥٤٥٠ = ١٠٥٨م (مرآة الزمان) مخطوط رقم ١٥٠٦، عربي، ورقة ٤٧ من نسخة
دار الكتب الوطنية بباريس (نقلاً عن تاريخ محمد بن هلال الصافي، ما نصه :
« وبمات رئيس الرؤساء (أبو القاسم علي بن الحسن بن المساه) إلى أبي الأغبر
ديس يستحثه في القدوم إلى بغداد خوفاً من الساسري . فقدم يوم الاثنين
ثاني ذي القعدة في مائة فارس . فبرل لنجمي مقابل دار الخليفة ، واستأذن
في صرب الطبل على باب خيمته في أوقات الصلوات . فأذن له في بعضها » .

« وهذا دليل صريح على كون نجمي مقابلاً لدار الخلافة (يفصل بينهما
درجة) . ولد دليل ضمني على أنه كان مقابلاً لقصر التاج من دار الخلافة .
وكان هذا في الموضع الذي بنت فيه المحكمة الشرعية وما حاورها من العمارات
(قبل بعض السموات) ، فقد ذكر سعد ابن الحوري أيضاً في حوادث سنة ٤٤٩ هـ
- ١٠٥٧م (مرآة الزمان، المخطوط، ورقة ٢٢) أن أبا عنانهم سعد بن أبي الفرج
محمد بن قساح بن داعية المستنصر العاطمي المستولي على واسط الخاطب به فيها، كان
أصحاب طمر بك قد أسروه في هذه سنة وطاروا ، على قسح حال ، وعنده
قبض أحمر وطرطور أحمر وقلادة ودع . فلما بلغ المطوف به النجمي خط من
فوق الحن وانصبت به خشبة فوصل عليها وشدت رحلاه إلى رأسه ، ثم قطع
رأسه ورميت حثته للكلاب فأكلتها »

« وقد ترجمه جمال الدين ابن الحوري في وفيات سنة ٤٤٩ هـ ، قد ذكر^(١)
أنه صلب بآراء التاج . وبذلك يحكم بأن التاج كان مقابلاً لنجمي » اهـ .
قلنا : وعليه يكون المأصر الأعلى في أعلى الجانب الغربي من بغداد ،
ولنجمي في أسفل هذا الجانب . فعلم عميد الجيوش طاف المدينة من أعلاها

إلى أسفلها ، وهو ما يوافق قول ابن كثير في هذا الخبر : « .. وأمر بعض غلمانه أن يحمل صبيبة فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها . » (١) .
وقد نُسب مسكويه إلى محل النجفي يوم ذلك . فقال في أحداث سنة ٣٦٩ هـ
(= ٩٧٩ م) : « .. وخرج الطائفة لله في تنقيته (لتلقي عضد الدولة) مع جماعة من الجيش والمقيمين وسائر الطوائف والموام ، ودخل يوم الأحد ليلة حلت من ذي الحجة ، واحتار في الجانب العربي على تعبئة من الجيش ، ونعمد أن ضربت له الصاب متصلة منتظمة بين عسكريه من باب حرب وبين الموضع الذي ينزله من آخر لبلد ، وهو البستان المعروف بالحمي ، وعمر في يوم الاثنين له إلى داره فاستقر فيها » (٢) .
وإذا طالت مزيداً في أخبار الحمي ، فانظر المراجع المذكورة في الحاشية أدناه (٣) .

* * *

الزبل (الخامس)

« غزو المسلمين لبلاد الفرنج »

(راجع : الصفحة ٢٦ الحاشية ٢)

لا شك أن السلسلة تمنع سعن المسلمين من دخول حلبج القسطنطينية ، خشية وقوع الغزو على هذه المدينة وأطرافها ، فقد ذكر فرامة بن حمفر الكاتب لبغداد (المتوفى سنة ٣١٠ أو ٣٢٠ ، وقيل ٣٣٧ هـ) . نظير ذلك في كتاب الخراج ما مؤداه : « ... ومقدار ما يغزو في الغزاة من مراكب الففور الشامية ما يجتمع إليها من

(١) البداية والنهاية (١١ : ٣٤٤) .

(٢) نهارب الأمم (٦ : ٣٩٦) .

(٣) صلة تاريخ الطبري (ص ١٦٧ ، ليند) ، الأوراق - أخبار الرازي والتقي

(ص ١٤٤) ، المستظم (٧ : ٢٢٣ و ٨ : ٢٥٣ و ١٩٤) ، معجم البلدان (١ : ١٠٠) .

٤٦٠ مادة « نادوريا » ، الكامل في التاريخ (٨ : ١٣٧ حوادث سنة ٥٣٦٦) .

مراكب الشام ومصر ، من الثمانين إلى المائة والغارة إذا عزموا عليها في البحر
 كوتب أصحاب مصر وشام في العمل على ذلك والتأهب له ويسمى ما يجتمع
 منها الاسطول ، والمدير لجميع أمور المراكب الشامية والمصرية ، صاحب
 انشور الشاميه^(١) ، ومقدار السفعة على المراكب إذا عرت من مصر والشام نحو
 مائة ألف دينار^(٢) .

وقد نقل الينا كل من المقريري والفلقشندي^(٣) ، وصفاً رائعاً لتجهيز
 الاساطيل الاسلامية لغزو الفرنج . قال المقريري : « كان من حملة مناظم (مناظر
 الخلفاء الفاطميين) أيضاً مطرة بجوار جامع المقس الذي تسميه العامة اليوم جامع
 المقسي ، وكانت هذه المنطرة بحري الجامع المذكور ، وهي مطلة على السيل
 الأعظم ، وكانت هذه المنطرة ممددة لثول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول
 إلى غزو الفرنج ، فتحضر رؤساء المراكب بالشواني^(٤) وهي مزينة بأنواع العدد
 والسلاح ويلعبون بها في السيل حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع وما وراءه
 الخليج من غربه . قال ابن المأمور : وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود
 كتب صاحبي دمشق وحلب في سنة سبع عشرة وخمسمائة (١١٢٣ م) ما بحث
 على عرو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك ، وركب الخليفة الأمر بأحكام الله وتوجه
 إلى الجامع بالمقس ، وجلس بالمنطرة في أعلاه ، واستدعى مقدم الاسطول الثاني
 وحلج عليه ، وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والمدد والآلات والأسلحة ،
 واعتمد ما جرت العادة به من الانعام عليهم ، وعاد الخليفة إلى البستان ... ،
 وقال ابن الطوير : فإذا تكملت السفعة وتجهزت لمراكب وتبأت للسفر ، ركب

(١) ممن اشتهر من أصحاب انشور الشاميه ، ابو عمير عدي بن أحمد بن عبد الله
 الأردني . قال المصودي ، وكان ماضراً له . « هو شيخ شعور الشاميه قديماً وحديثاً

إلى وقت هذا وهو من أهل التحصيل » : (مروج الذهب ٢ : ٣١٦ - ٣١٨) .

(٢) الخراج (من ٢٥٥ ، وانظر من ٢٥٩ ، طبعة دي عوي . لندن سنة ١٨٩٢) .

(٣) صبح الأعشى (٣ : ٥٢٣ - ٥٢٤) .

(٤) الشواني ، واحدها الشونة ، وقيل لها الشون والشيقي : ضرب من مراكب البحر الكبيرة ،

كانت تتخذ في الحرب وفي التجارة .

الخليفة والوزير إلى ساحل المقس ، وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع مطرة
يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه ، يعي الاسطول ، ولقائه إذا عاد . فإذا جلس
هو والوزير للوداع ، جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات في
البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولبوسها ، وفيها المنجنيقات تلعب فتسحدر
وتقلع بالخاديف كما يعمل في لقاء العدو بالبحر الملح ، ويحصر بين يدي الخليفة
المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو بجماعة بالصرة والسلامة ، ويمطي المقدم مائة
دينار ، والرئيس عشرين ديناراً ، وتسحدر إلى دمياط وتخرج إلى البحر الملح
فيكون لها ملاد العدو صيت وهيبة ، فإذا وقع لهم مركب لا يسأون عما فيه
سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح ، وما عدا ذلك فلا أسطول . واتفق مرة
أن قدم على الاسطول سيف الملك الحجل ، فكسب نطشة عظيمة فيها ألف وثمانمائة
شخص بعد أن بعث عليهم باقتال وقتل منهم نحواً من مائة وعشرين رجلاً ،
وحصر إلى القاهرة ففرح الخليفة وركب إلى المقس وحلّس بالمطرة للقائهم ،
وأطلقوا الأسرى بين يديه تحت المنطرة من جانب البر ... ، وقد حربت هذه
المطرة وكان موضعها برح كبير ، صار يعرف في الدولة الأيوبية بقلعة المقس ،
مشرف على النيل ... (١) .

* * *

الزبل (السادس)

« الضرائب والمشور بمصر »

(راجع : الصفحة ٣٣ الحاشية ١)

كان الاهتمام بأمر الثغور المصرية على مدى السنين عظيماً ، يأتي في طليعة
الأعمال الرئيسية . وقد وقعنا على تقليد للخليفة إلى السلطان من إنشاء بحر الدين
بن لقمان صاحب ديوان الانشاء بمصر ، في حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة

(١٢١٠ م) ، يقول له فيه : ... واجعل أمرها (أمر النفور) على الأمور مقدماً ،
وشيتد منها كل ما عادره العدو مسهدماً ، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ،
وهي على العدو داعية افتراق لا اجتماع ، وأولها بالاهتمام ما كان البحر له
محاوراً والعدو له ملتقى فطراً ، لاسيما نفور الديار المصرية ، فإن العدو
وصل إليها راجحاً وراح حاسراً ، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم
عائراً (١) .

وهناك عامل آخر عر صد الغزاة والطامعين ، هو استيلاء الضرائب
والعشور ، وهي من الالاس التي تهتس بزوة البلاد . وقد كانت المآصر بمصر
لعيون الصرائبيين على اعدام عملهم على الوجه الحسن . وذكر البشاري المقدسي ،
ان الصرثب بمصر كانت ثقيلة خاصة بقميس ودمياط وعلى ساحل النيل ، فقد
كان « يؤخذ بقميس على زق الزيت دينار ، ومثل هذا وأشباهه ، ثم على شط
نيل بالمصطاط ضرائب ثقل . رأيت بساحل قميس ضرائباً حالساً قبل قبالة هذا
الموضع في كل يوم ألف دينار . ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل
الاسكندرية . وبالاسكندرية أيضاً على مراكب الغرب ، وبالعرما على مراكب
الشام ، ويُؤخذ بالقزم من كل حمل درهم (٢) .

ولما شاهد حسن فيما يرويه الرحالة ابن حدير ، الذي وصل نهر الاسكندرية
في يوم السبت ثاني ذي الحجة من سنة ٥٧٨ للهجرة (٣٠ آذار ١١٨٣ م) ، قال :
« من أول ما شاهدنا فيها يوم بروتنا ، أن طلع أمراء إلى المركب من قبل
السلطان بها ، لتفديد جميع ما جلب فيه ، فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين
واحداً واحداً ، وكتبت أسمائهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، وسئل كل واحد عما

(١) السلوك للمصري (١ : ٥٦ - ٥٧) ، وراجع بهذا اعداد : مقدمة ابن خلدون

(٢ : ٣٢ - ٤٠ ، ص ٤٠٠) ، وصح الأثنى (٣ : ٥٢٣ - ٥٢٤) .

(٢) أحسن التقاسيم (ص ٢١٣) .

لديه من سلع أو ناص^(١) ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه
الحول من ذلك أو ما لم يحل^(٢) .

* * *

الزئيل (السابع)

(نصوص من كتاب «الأموال»)

(راجع : الصعائف ١١ - ١٣ و ١٦ - ١٧)

في الفصل الذي عقده أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ =
٨٣٨ م) ، بعنوان «العاشر وصاحب المكس ، وما فيه من الشدة والتقليط»^(٣) ،
كلام على «السلسلة» ، نورد منه فيما يأتي ، ما يتعلق بموضوع كتابنا هذا ، قال :
« حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن مسروق ، انه قال : والله
ما صلتُ عملاً أخوف عندي أن يدخلني الدار من عملكم هذا . وما بي أب
أكون طامت فيه مسلماً ، ولا معاهداً ديناراً ، ولا درهماً . ولكي لا أدري
ما هذا (الحبل) الذي لم يسته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ،
ولا عمر . قالوا : ما حملك على أن دخلت فيه ؟ قال : لم يدعي زياد ولا شرح ،
ولا الشيطان ، حتى دخلت فيه » .

قال أبو عبيد : قوله « (لا أدري ما هذا الحبل الذي لم يسته رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ، ولا عمر) . وكان حبلاً يعتصر به النهر ،
يجمع السهم من المضي حتى تؤخذ منهم الصدقة ، فأسكر مسروق أن تؤخذ منهم
على استكراه » .

« حدثنا عباد بن عباد عن عاصم الأحول عن الشعبي ، قال : استعمل زياد
مسروقاً على السلسلة ، فأنطلق فأت بها . فقيل له . كيف خرج من عمله ؟ فقال :

(١) الناص : الدرهم والدينار .

(٢) رحلة ابن حبير (ص ٣٥ ، طبعة رايت = ص ٣٩ - ٤٠ ، مطبعة دي بونو) .

(٣) كتاب الأموال (ص ٥٢٦ - ٥٤٠ ، تحقيق محمد حامد المني ، القاهرة ١٩٣٥) .

ألم تروا إلى الثوب يُبعت به إلى العصار فيجيد عمله ؟ وكذلك خرج من عمله .
 « حدثنا أبو النضر عن شعبة عن أبي إسحاق ، قال : سمعت أبا وائل يقول :
 كنت مع مسروق بالسلسلة . فإرأيت أميراً قط كان أعف منه ما كان يصيب
 شيئاً إلا ماء دجلة . »

« قال أبو عبيد : وقد اختلف الناس في الاخلاف قديماً . حدثني أحمد بن
 عثمان عن عماد الله بن المبارك عن قرّة بن خالد عن رجل من بني ضبّة ، قال :
 مررت بحميد بن عبد الرحمن الجبيري ، وهو على السلسلة - وذلك في (شهر)
 رمضان - فأمر بسميكتي فحدثت . ثم استحلني أنه ما في سميتي إلا ما سميت
 من الطعام . »

« حدثني يحيى بن سعيد عن أبي نكر السراج ، قال . حدثني أبو وائل ،
 قال : مررت بعبد الله بن معقل بالسلسلة ، وهو على العشور بالفترة ، يخاف
 الناس ، فقلت : يا ابن معقل ، لم تخلف الناس ؟ تلهيهم في النار ، هلكت
 وأهلك . فقال : إن لم أفعل لم يعصوني شيئاً . فقلت . وما عليك ؟ حد
 ما أعطوك . »

• • •

الزبل (الثامن)

(الكسرة هي المآصر النهرية في العراق)

(في المائة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة للبلاد)

نقل لي رجل ثقة من أهالي « الهارة » ، أحباراً تتعلق بالمآصر النهرية في
 جنوبي العراق في السنين المتأخرة . قال ما ملخصه :
 (١) الشيخ « ثوبى »^(١) : عاش قبل نحو (٢٠٠ سنة) ، وكانت منازل

(١) من غدير - ل صبيح (د ثل ربيع) .

يومئذٍ فوق بلدة «العمارة»^(١) الحالية ، بينها وبين الكيت . وعُرفت أراضيها هناك باسم «الجرة» .

(٢) الشيخ «گوز»^(٢) : عاش أيضاً قبل نحو (٢٠٠ سنة) . كانت مبارله تقابل الكيت الحالية .

(٣) الشيخ «مشتت»^(٣) : كان حياً قبل نحو (١٢٠ سنة) ، كانت منازلها في صدر نهر «أبو ديس» ، أسفل «قلعة»^(٤) صالح «الحالية» ، في مكان يسمى «الجمشة» .

(٤) الشيخ «مذكور»^(٥) : عاش قبل نحو (٨٠ سنة) . كان هؤلاء الشيوخ الأربعة من الرؤساء والصدور الأحلاء في زمانهم ، ذوي بأس وسطوة ، استوثقوا من دجلة ، بين «عليّ الغربي» حتى مسافة طويلة إلى الجنوب^(٦) .

فكان واحد منهم يعمد إلى قطع دجلة بقلوس ، نبت طرف القلص في ناحية من منزله ، وطرفه الآخر في وتد على الضفة المقابلة .

وكان لكل شيخ نفر من أصحابه ممن اشتهر بالفطنة ولقوة والقوة ، يعمل على أخذ الألفاظ والهدايا ، أو استيفاء الضرائب ، عرفنا منهم المسمى «سراي» من جملة رجال الشيخ «مذكور» .

(١) و (٤) لقد مر على البدء بإنشاء بلدة «العمارة» ٩٠ سنة هجرية ، ومر على قصة «العمارة» ١٠٠ سنة هجرية ، نظر : موجد تاريخ قضاء العمارة محمد باقر الحلبي (من ٤٣ و ٥٣ ، بغداد ١٩١٧) .

(٢) ومن ذريته آن مرادي .

(٣) مشتت بن حليمه بن داغر بن صدر ، الرئيس امام عشيرة «أبو محمد» .

(٥) هو مذكور الثاني ، والد الشيخ «مزيان» ، وهذا والد الشيخ «شيب» شيخ اي لام .

(٦) هذا القسم من دجلة ، من الكوت حتى القرنة ، يسميه أهل تلك الأطراف «شط العمارة» .

وكانت السفن الصاعدة أو المنحدرة ، تجتمع إلى بعضها حتى تبلغ عشرين
سفينه^(١) ، فتسير في دحلة حتى تمر بالعوس ، فتقف عندها ، فيقدم أصحابها
إلى الشيوخ ما ييسر لهم من ألبان أو طعام أو قماش ونحو ذلك ، إن كان هؤلاء
من الرجال الأقوياء الأشداء ، أما الضعفاء منهم ، فكانوا بين أرغاب وأرهاب
ووعيد ووعيد حتى تؤخذ منهم ضرائب^(٢) ثقيلة .
وقد عرف هذا الأمر في تلك الجهات بـ « الكسرة » و ضرب بها المثل ،
عند قولهم في رجل ذي عود كبير : « كأن فلان عبس كسرة إلى العارة » ،
أي أنه استطاع أن يحرق حصار قلوس المأصر ، ويبلغ مدينة العارة سالماً
لسيفته .

الخاتمة

هذا ما انتهى إلينا من أخبار المأصر ، وهو كما رأيت ، كلام جمعت أحرأه
من غير كتاب ، وصمت فوائده بعد أن كانت مشورة في كثير من المطال ،
تلك التي حاولنا جهد الطاقة أن نجمع أشداتها ونصل ما بين حلقاتها ، لنخرجها على
الوجه الذي بين يديك .

وقد بان لك من مطاوي البحث أن هذه المأصر بأصنافها الثلاثة : المهري
والري والبحري ، كانت جلبة القدر ، عطيمة الخطر ، وعلى أيديها كانت تنتظم
أمور الحرب وسبل التجارة مدى أجيال كثيرة في بلدان الروم والاسلام .

— 0 —

(١) يطلق عليها أهالي جنوبي العراق اسم « الكور » .

(٢) يسميها الأهالي في تلك الأقطار « درمة » (بكسر الدال وتسكين الراء) .

استدراكات ، وتصحيحات مطبعية

الصفحة	المصدر	
٢٣	١	الكنيسة : ضرب من الموادج ، أكبر من المحمل ، وأصغر من العمارية . (ج : الكنائس) .
٢٣	١	العمارية : ضرب من القبة ، يوضع على بقل ، ويقعد فيه رجلان كل منهما في جانب . (ج : العماريات) .
٢٦		(الحاشية ٤) المسالك والممالك . صوابه : مسالك الممالك .
٤٠		(الحاشية ٢) ورد ذكر « المصور » . وإرادته « سلطان المصور نور الدين علي بن المزم أيبك » .
٧٠		(قبل الأخير) الشيخ . صوابه الشيخ .

الفهارس

- ١ -

فهرس الأشخاص والأقوام

(١)	
آل موادي ٧١	ابن رائق ١٤ ١٥
آل صديج ٧٠	ابن رسته ١٠ ١١
آل محمدي ٢٧	ابن رسي ٢٣
آمدردور (المشرق) ١٣ ٢١	ابن سلاء (أبو عبيد الغاسم) ٦٩ ٧٠
الأمير بأحكام الله (الخليعة) ٦٦	ابن سبويه ٥٣
ارهم (عليه السلام) ٣٥	ابن شاذان الظاهري ٣٩
امرهم (حدث) ١٢	ابن شداد (أبو الحسن) ٣٤
ابن أبي عمير ١٦	ابن القزطبي (أحمد بن محمد) ١٣
ابن لائحه (أبو الحسن) ١٦ ٤٠ ٤١	ابن طومار (أحمد) ٣٢ ٣٣
٤٧	ابن الطور ٦٦
الأبرار ٨	ابن الصادق ١٦
ابن عباس ٤٧	ابن صادق ٣٤ ٣٩ ٥٨
ابن علقمة ٢٩ ٣١ ٣٢ ٣٤	ابن عمر ١٦
٥٢	ابن أمية (أبو الحسن) ٦١
ابن عوف ١٣	ابن وهب (أبو أحمد بن محمد) ٦٤
ابن عوف ١٧	ابن عوف الأحمدي ٢٨
ابن عوف بن ردي ١١ ٤٧	ابن عوف ٦٠
ابن حمير ٣٠ ٣٢ ٣٤ ٦٨	ابن كثير ٧ ٢١ ٢٣ ٦٥
ابن محمدي (أبو الحسن) ١٤ ١٥	ابن ميمون ٦٦
٦٦ ٦١ ٦٤	ابن اندلس (أبو الحسن) ٣٧
ابن أخواري ٦٠	ابن مبروق ٢١
ابن حواري ٦ ٢٦ ٣٧ ٥٧	ابن ميمون ١٨
ابن حرداده ١٠ ٢٦	ابن ميمون ٨
ابن حنبل ٣٠	ابن ميمون ١٥
ابن دؤب ٦٠	ابن ميمون ٢٠
	ابن الوردني (أبو الحسن) ٥٩
	أبو ميمون (حدث) ١٢ ٧٠

{ فهرس الأشخاص والأقوام }

الأمي (الحقيقه لعماسي) ١٤	أبو بكر (محدث) ٦٩
أوشردان ٥٩	أبو بكر البهاء الهندسي (حد الفكري الهندسي)
(ب)	٣٣ ٣٢
١٥	أبو تفلح الفصير بن ناصر الدولة الحمداني
١٢ ١١	٢٠ ١٩
١٢	أبو الحسن الحلي ٣٧
٦٢ ٦١ ١٢	أبو حبيب ١٩
٥٥	أبو حرم الفاضل ٣٧
٥٦ ٥٥	أبو تميم ١٩
١٥ ١٤	أبو محمد (أبو الوليد) ١٢
٢١	أبو شعاع (الورع) ٢١
٦٤	أبو مرارة ١٩
١٠	أبو الكرم (الوالي) ١٥
١٠	أبو مسلم الفخري ٩
أبو علي (أبو الهندسي)	أبو محمد (محدث) ٦٩
٥٩	أبو ناصر (محدث) ٧٠
٥٩	أبو امر الوراق ٣٧
٥٥	أبو داود (محدث) ١٠ ١٢
٣٥	أبو يوسف (الهندسي) ١٩
٢٠	أحمد بن عثمان ٧٠
٣٧ ٢٢	أحمد بن محمد الفاضل ١٧
٧١	الأدريسي (الشريف) ٥٨ ٣٢
١٢	استاذ ٥١
١٨	أحمد بن داود ١٢
(ج)	أحمد بن سهل الزرار أبو الحسين (الفاضل)
١٢	عش
١٩ ٢٠	أحمد بن أبي حله ١٢
٦٣	الأصطخري (أبو أحمد) ٥٧ ٢٦
(ث)	٥٨
٢٠	الأعشى (محدث) ٦٩ ١٢
	أبو محمد ٧١

(فهرس الأشخاص والأقوام)

دي غويه (المستشرق) ١١ ١٠ ٥
٢٣ ٢٦ ٢٨ ٣١ ٦٦ ٦٩
الدير ٢٢ ٢١ ٩

(د)

د. ه. ر. (نفس الله) ٢٣

(ر)

در اشد سنة ١٥

در اشد الأصماني ٧

در اشد (المستشرق) ٦٩ ٢٤ ٣١

در اشد (م. ن. ل.) ٧٠

(ر)

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٨

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٢

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٧

در اشد ١٥

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٢ ١١

در اشد (الشيخ السمرقاني) (أول من سفر في الاسلام)

٦٩ ١٣

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٤٠

(س)

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٤٧ ٤١ ١٦

٦٤

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٥

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٤٢

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٧٠

در اشد ٧١

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٢

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٢

(ح)

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٦٠

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٢٧

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٩

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٧

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٣٤

(ح)

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٣٠

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٩

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٩

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٧

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٦٦

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٠

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٢

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٢ ١١

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٢

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٧٠

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٢

(ح)

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٤٤

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٧

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٩

(د)

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٦٤

در اشد (الشيخ السمرقاني) ١٨ ١٣

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٥٥

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٢٢

در اشد (الشيخ السمرقاني) ٣٩

(فهرس الأشخاص والأقوام)

صلاح الدين الأيوبي ٤٥
صلاح الدين بن عرام ٤٩
مصمّم الدولة ١٤
الصولي (أبو بكر) ١٣

(ط)

طائفة ٦٥
طاهر بك ٦٤
طلائع بن دؤيبك (الوزير الصالح) ١٥

(ع)

عاد (قوم) ١٨
العاقل (الملك سيف الدين أخو صلاح الدين الأيوبي) ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤
عاصم الأعمول (محدث) ٦٩
عاصم بن علي (محدث) ١٢
العامر (الخليفة الفاطمي) ٤٥
عباد بن عباد (محدث) ١٢ ٦٩
عبد الله بن حبيب ١٢
عبد الله بن عمرو بن الحسن ٣٧
عبد الله بن إدراك ٧٠
عبد الله بن معقل ٧٠
عبد الرحمن بن الأشعث ٩
عبد الرحمن بن عمر بن قيس المجلي ٩
عبد الملك بن ميسرة ١٢
الحجاج ٥٣
عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأزدي (أبو عمر) ٦٦
عز الدين بن عبد السلام ٤٢
عمرو (البزار) ٦٢
عصدة الدولة ٦٥

سليمان القانوني ٢٩
الصمغاني (أبو سعد) ٩ ٦٣
سهراب ١٩
سيف الدولة ١٩
سيف الدين قطز (الملك المطهر) ٤٠
سيف الملك الجبل ٦٧
السيوطي ١٠ ٤٧ ٥٥

(ش)

شبيب (الشيخ) ٧١
الشتروني (سعيد) ١٥
شريح (محدث) ٦٩
شريك (محدث) ١٢
شعبان بن حسين (الملك الأشرف) ٤٩
٥١ ٥٥
شمسة (محدث) ٩ ٧٠
الشمسي (محدث) ١١ ١٢ ٦٩
شقيق (محدث) ٦٩
شكيب أرسلان ٢٠
شمر (لغوي) ٥٣
الشيبياني (محمد بن حسن) ٣٠
شيخ الشيوخ (أنظر : صدر الدين)
الشيرازي (أبو الفضل العباس بن الحسين) ٦١

(ص)

الصافي* (أبو إسحاق إبراهيم) ١٩
الصافي* (محمد بن هلال) ٦٤
الصافي* (هلال بن الحسن) ١٧ ٢٠
٦١ ٦٥
صائم الدهر (الشيخ محمد) ٥٥
صدر الدين (شيخ الشيوخ) ٤١ ٤٢

(فهرس الأشخاص والأقوال)

(ك ، گ)

- كاهن الاختيدي ٤٥
 الكامل بن العادل (الملك) ٤٠ ٤١
 ٤٢ ٤٣ ٤٦ ٤٧
 كرميز (المستشرق) ٦
 الكاشي ٨
 كمت (المستشرق) ٣٧
 كتب الأحبار ٣٦
 الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) ٣٧
 ٤٤
 كور (الشيخ) ٧١

(ل)

- لديج (المستشرق) ١١
 لشكر من بن دكي ٢١

(م)

- المأمون ٤٤
 مدني (مر - اوي) ٥٠
 المتوكل بن الله (الخليفة العباسي) ٤٤
 ٤٥ ٤٦
 محمد ١١
 ادمع المظفي العربي (بدعشي) ١٩
 محمد نور احادي ٧١
 محمد بن اسماعيل بن مبر ١٢
 محمد بن داد ١٤
 محمد الخارب ١٦
 محمود ملك الماكي ٤٩ ٥٠ ٥١
 مدكور (الشيخ) ٧١
 مر حليوت (المستشرق) ١٠

شفقة (موي) ٨

علي بن أبي طالب ٩

علي بن مبارك ١٧ ٤٩ ٥١

علي بن الحسن ١١

علي بن الحسن بن الملقمة (رئيس الرؤساء)

أبو القاسم ٦٤

عمر بن الخطاب ٦٩

عمر بن قيس المعجلي ٩

عمر بن صالح ١١

عماد الخيوش (الحسن بن أبي عمر) ١١

٦٤

سبعة بن اسحق ٤٤ ٤٥

عبد (كور كنس) ١١

(ف)

فت (المستشرق) ١٠

فيلسوف (المستشرق) ٩

فيلسوف (المستشرق) ٩

فيلسوف (المستشرق) ٩

فيلسوف (المستشرق) ٩

فيلسوف (المستشرق) ٩

(ق)

قائمة بن عمر ٥٧ ٦٥

قائمة ٢٢

قائمة ٢٩

قائمة بن حله ٧٠

قائمة ٢٥

قائمة (ركز) ٣٤ ٣٩ ٥٩

قائمة ٣٢ ٤٥ ٤٩ ٦٦

قائمة بن (ركز) ١٩

قائمة ٩ ١٠

(فهرس الأشخاص والأقوام)

(ج)

الزورى ٢٨
امير الدين الله ١٧ ٢٣
٢٣

(.)

۱۱ مولد
۳۰ هرون (نورانی الی)
۱۱ ۵۵۰ من عدالت
۱۱ ۵۵۰ (محدث)
۱۰ الحمدانی (محمد بن عدالت)
۸ اهوری (مهر)

(,)

	۱۵	وحدی (محمد درند)
۳۱	۲۳	۱۱ وصدقہ (ادبشرف)
	۱۲	ابوبکر بن عبد الله
	۱۲	وہب بن دہمہ

(5)

٢٨	٣١	٣٣	٢٣	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
٢٨	٣١	٣٣	٢٣	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

ص ٧١ (الشعرية)

مربك (المشرق) ۱۱

المصدر المأثور ٦١

معمروق (الأمر) ١١ ١٢ ١٣

Y. 69

۱۷ ۱۶ (۱۱-۱۲)

٢٥ ٢٨ ٦١ ٦٦ الاسودى

۶۱ ۶۰ ۵۹ ۵۸ ۵۷ ۵۶

70

مشتت من حياطة بي داعر من صبر (الشبه)

۷۷

۲۹ مصطفیٰ پاشا

مصطفى جواد (الدكتور) ٦٢ ٦٣

الطيم لله ١٩ ٢٠

ماویۃ بن اُمیہ ۱۲ ۴۱ ۲۵

٩١

٩ ا ١٠

٦٢ مذهب الاول

- ١٣ - الصفحة

[illegible]

10

[illegible]

19	15	14	17	بري
24	25	24	25	23

72 77 82 87 91

الاسي / الوزير الماحي

مس

13 41

١- صور نور الدين (ا)

۲۱ مکتب الدوله

۳۵ (ادبی)

۳۷ زکی بن علی

فهرس الامكنة والبفاع

(١)											
أمدس ٢٨						الحجة ٣٧					
أحبا ٣٨						اسجر الأسود ٢٥					
أدرينجان ٢٧						بحر سطر ٢٨ ٢٥					
أرمينية ٢٧						بحر الخزر ٥٩ ٥٨ ٥٧					
الاسكندرية ٣٨ ٣٦ ٢٨ ٢٤						بحر الرومي (بحر الروم) ٢٦ ٢٥					
١٨ ١٩ ٥٠ ٥١ ٦٨						١٨ ٣٨					
اسوان ٤٢						بحر الشام ٢٩ ٢٨ ٢٦					
الأشتوم ٣٨						بحر صبرتن ٥٨ ٥٧					
أشمون (الاشمويين) ٥٢						بحر القرم ٥٢					
أشمون الرمان ٥٢						بحيرة مريوط ١٩					
أصهان ٩						اسحية ٦٣					
أصرايس ٥						برج الدارية ٣٤					
الأعطية ٦٣						برج الدنان ٣٤					
أورنق ٥٩ ٣١ ٣						برج السلسلة ١٣ ١٢ ٤١ ٤٠					
أفرطش ٣٦						٤١ ٤٦ ٤٩ ٥٠ ٥١					
الأنديس ٣٨						برقة ٥٩					
ألف شور (لي رودس) ٢٩						بركة الرطاي ٥٦ ٥٤					
أوانا ١٣						المرس ٣٨					
أوربة ٤١ ١٦						بستان بشر ١٨					
(ب)						الغصنة ٢٣ ٢٢ ٢١ ١٥ ١٠					
باب الأبواب ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٢٤						٦٣					
باب الغصنة ٦٢						الطائغ ٢٢					
باب حرب ٦٥						الطاحة ٢١					
بادوربا ٦٥						سدا ٢٠					
باريس ٣٩ ٣٤ ٣٢ ٣٠ ٢٥						سداد ١٧ ١٦ ١٥ ١٣ ١٠					
٦٨ ٥٢ ٤٨ ٤٢ ٤١						١٨ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٩ ٦١					
						٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٧١					
						بلاد افرحكة ٣٦ ٢٨					
						بلاد الروم ٤٨ ٣٦ ٢٨ ٢٥ ٢٤					
						بلاد الشام ٢٩					

(فهرس الأمكنة والسقاع)

أحدار ٣٧
أحدرة ٤٩
حصن مهدي ١٥
حلب ٦٦
الحره ٧١
حمره (حل) ٢٣
حمص ٢٩
أحواس ١٠ ٢١
حيدرآباد ٤٣ ٦٠

(ح)

حراة كتب المتحف العراقي ١٣
حليج الاكسبرنة ٥١
حليج بكر ٥٤
حليج : اخور ٥٣ ٥٤
حليج : امصعدة ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٨
٣٠ ٥٧ ٦٥
أحد : بكر (مصر) ٥٤
أحد : مصري ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٦٦
أخوخ ١٧

(د)

دار أبي عبد الله مصري (بالأهواز) ١٥
دار أحلامه (بغداد) ٦١ ٦٤
دار الخلاء أحدثه المتحف (بغداد) ٦٣
دار الزمقي ٦٢ ٦٣
دار مكتب امريه ٨ ١٤ ٢٨ ٤٧
دار الكتب الوطنية (باريس) ٦٤
دحة ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣
١٨ ٢٠ ٢١ ٢٦ ٦٣ ٦٤
٧٠ ٧ ٧٢

بلاد المغرب ٣٧ ٤٨
ملاشكر ٦٠
بلد الروم ٦
الوحيه ٦٣
بولاق ٧ ٨ ١٦ ١٩ ٣٠
٤٩ ٤٨
بيت المقدس ٣٢
بيروت ٥٧

(ت)

الناج (قصر) ٦٤
تكرت ١٣
تبس ٣٦ ٣٨ ٤٤ ٤٥ ٤٦
٥٢ ٦٨

(ج)

جامع السلطان (بغداد) ١٠
الجامع الكبير (بدمياط) ٤٧
جامع المنقش (القسي) ٦٦
حنا (معتم أوله ومنه ثابته مع تشديد) ١٠
حراة ١٠
حرة فاروس ١٩
حصر بغداد الأسفل ٦٤
حصر اسمع غلوات ٥١
جسر الملك لعل ٦٤
الحل ٢١
الحشة ٧١
الحيرة ٤٠ ٤٢ ٤٣

(ح)

الحشة ٣٧

(فهرس الأمكنة والبقايا)

٥٢	٣٨	٢٤	السوس	٦٢	١٣	دجيل بعداد
						الأكندس ٢٧
			(ش)			الأكندس (عصر) ٥٤
٥٧	٤٨	٣٦	٣٠	٤٢	٣١	١٩
			٦٨	٦٦		
			٣٦	٣٦	٤١	٤٠
			١٣	١٣	٤٧	٤٦
			١٧	١٧		
			٣٨	٣٨	٢١	١١
			٥١	٥١		
			(ص)			(ر)
٢١	٢٠	١١	صريهين واسط			رئس لوتس ٤٩
			٦٨	٥٢	٣٧	الزوس ١٧
			٣٦	٣٦	٣٥	الرحبة (بعداد) ١٥
٢٣	٢٢	٢١	٢٠	١٩	١٨	١٧
			٥٨	٥٧	٥٦	٥٥
			٣٦	٣٦	٣٥	٣٤
			١٠	١٠		
			(ط)			(ز)
			٥٥	٥٥		ربيد ٦٣
			٣١	٣١		(س)
			٤٠	٤٠		٤٣
			(ع)			السراة ابراهيمية ٥١
٤٧	٤٠	٣٩	٣٨	٣٧	٣٦	٣٥
			٤٤	٤٣	٤٢	٤١
			٤٩	٤٩	٤٨	٤٧
٢٢	٢١	٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦
			٧٢	٧٠	٦٠	٥٧
			٣٧	٣٦	٣٥	٣٤
			٦٢	٦١		

(فهرس الأماكن والبقاع)

قطر بل ١٨	عقد القيار ١٣
قطيعة أم جعفر ٦٣	العقر (في لطف جيل حرين) ٢٣
قطعة الرشق ٦٣ ٦٢ ١٤	عقر ابن رعل ٢٣
القدس ١٨	عكة ٢٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٤
العلم ٦٨	٥٨ ٤٠ ٣٤
قلعة ابن عمره ٢٧	العلث ٢١
قلعة رونس ٢٩	علي الغربي ٢١
قلعة صرخ ٧١	الصاراة ٧٢ ٧١ ٧٠
قلعة القدس ٦٧	هوان ٣٦
قنطرة في العور ٥٦	(غ)
قنطرة النسي ٥٥ ٥٤	غوننج ٣٤
قوس ٤٢	(ف)
القيروان ٥٩	فارس ٢٧
(ك)	الفرات ٢١ ١٠ ٩
الكاطية ٦٣	الفرما ٦٨ ٤٥ ٣٨ ٣٦
الكرح ١٨ ٦٢	المسطاط ٦٨ ٥٢
كركيه ١٨	في الحور ٥٥
الكنت ٧١	في الصلح ٩٠
الكوت ٧١	قبة ١١
الكوفة ٩ ١٠ ٢١ ٢٢ ٢٣	(ق)
(ل)	القاهرة ١٢ ٣٦ ٣٣ ١٨ ١٣
لددية ٢٤ ٢٩	٦٧ ٥٤ ٥٣ ٤٧ ٤٦ ٤٥
لس ٢٠	٦٩
ليساك ١	القدس ٣١
ليدن ٥ ٦ ٩ ١٠ ١١	القرنة ٧١
٢٣ ٢٦ ٢٨ ٣٤ ٦٥ ٦٦	القططية ٢٦ ٢٥
(م)	قصر حيد ١٨
أبصر الأسفل (بواسطة) ١١ ١٩	القطر ١٠
٢١ ٢٠	

﴿ فهرس الأمكنة والبقاع ﴾

(ن)	أماصر الأعلى ١٣ ١٤ ٢١ ٦٣
<p>الحمى (بعداد) ١٤ ٦٢ ٦٣</p> <p>٦٤ ٦٥</p> <p>هر ابن عمر ٢١</p> <p>هر أبو ديس ٧١</p> <p>نهر يبي ١٠</p> <p>الو به ٣٧</p>	<p>٦٤</p> <p>المدائن ١٠</p> <p>المدسة (اسورة) ٩ ٥٢</p> <p>مدينة السلام ١٧</p> <p>مدينة أنقرم ٣٩</p> <p>مدينة المنصور ١٣</p> <p>مرح الصهر ٤٤</p> <p>مشرفة الصفا ٦٤</p>
<p>البلبل (هر مهر) ٣٨ ٤٠ ٤١</p> <p>٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٦ ٤٧ ٤٨</p> <p>٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٦٦ ٦٧</p> <p>٦٨</p>	<p>مهر ١٨ ٢٨ ٣١ ٣٥ ٣٦</p> <p>٣٧ ٣٨ ٤٠ ٤٢ ٤٣ ٤٤</p> <p>٤٥ ٤٦ ٥٠ ٥٢ ٥٣ ٥٦</p> <p>٥٩ ٦٦ ٦٧ ٦٨</p>
(هـ)	<p>مصطفى الروم دور ٢٤</p> <p>أنقرم ٦</p> <p>لعل ٦٦ ٦٧</p> <p>مكة ٥٢</p>
<p>الهد ٣٩</p> <p>هيئة متاد (حمر مصر) ٥٠</p>	<p>مارة الاسكندر ٢٨</p> <p>أنشبة ٤٨</p>
(و)	<p>السطمة (بعداد) ٦٣</p> <p>الهدية (مأرقبة) ٢٤ ٥٩</p>
<p>واسع ١٠ ١٢ ١٥ ١٩ ٢٠</p> <p>٦٤</p>	<p>الموصل ٢٣ ٦٣</p> <p>الميدان (في بعداد القديمة) ١٨</p>
(ي)	
<p>المن ١٩ ٣٦ ٣٧</p>	

فهرس الكتب والرسائل (المطبوعة والمخطوطة) والمجهرات ، والمقالات (*)

(١)

- آثار البلاد وأخبار العباد ٣٤ ٣٩ ٥٩
 أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٢٣ ٣٠
 ٣٣ ٣٥ ٥٨ ٦٨
 أحوال الدول وآثار الأول ٢٩
 أخبار الراعي بالله والتي لله (مطبوع)
 الأوراق
 أوجوزة ابن المقرب في ربح المصداقة ١٨
 أساس البلاغة ٧ ٨
 أثمار أولاد الخلفاء وأخبارهم ١٨
 الأطلاق النفيسة ١٩
 الاعلان بالتوبيخ ١٥
 أقرب الموارد ١٠
 الأساس للسماعي ١٠ ٦٣
 الأنيس المفيد لطالب المستفيد ٣٩
 الأوراق (لاصولي) ١٣ ١٥ ٦٥

(ب)

- بدائم الزهور في وقائع الدهور ١٨ ٥٤
 البداية والنهاية في التاريخ ١٧ ٢١ ٤٣
 ٦٥
 البستان ١٠
 البلدان (ليعقوبي) ٥

(ت)

- تاج النورس ٨ ٥٣ ٦٥

= عملة
 = مقالة

- تاريخ الخلفاء (السيوطي) ٤٧
 تاريخ الطبري ١٠ ٣٧
 تاريخ محمد بن هلال الصائغ ٦٤
 تاريخ واسط ١٣
 بحار الأنوار ١٣ ١ ١٥ ٢٠
 ٦٥ ٦٦
 حكمة الأسماء في تاريخ الأوراق ١٧ ٥٧
 ٦٦ ٦٥
 تحفة الطائر ٣٠ ٣٢ ١٨ ٥
 حكمة اصلاح ما تظلم فيه العامة ٩
 حكمة تاريخ الطبري ١٥ ٦٦

(ج)

- الجمرة لابن دريد ٦٥

(ح)

- حسن الخمر ٢٦ ٣٧ ٤٧ ٥٦
 احداث الخدمية ٦٣

(ح)

- الحراج (لأبي يوسف) ١٩
 الحراج (لقدامة) ٥٧ ٦٥ ٦٦
 خريدة العجائب ٥٩
 خزائن كتب الحروب الصليبية ٣٤ ٤١
 ٤٢
 الخطط التوفيقية احديده ٤٧ ٥١
 خطط القرطبي ٣٥ ٣٦ ٣٧ ١٥
 ٦٧ ٥٥ ٥٤ ١٧

(فهرس الكتب والرسائل (المطبوعة واخطوطة) ، والمحلات ، والمقالات)

اصحاح ٧	
سنة تاريخ الطبري ٦٥	
صورة الأرض (لأن حوقل) ٢٧ ٦	
٣٥ ٣٧ ٥٧	
(ع)	
١١ في الأسماء السبعة	
المردود في المراتب (٥) ٥	
الهدى القديم ٣٥	
(ف)	
المرح بعد الشدة (ندوحى) ٦٣	
(ق)	
اقام من محيط ٨	
(ك)	
الكامل في التاريخ ١٦ ١١ ٦٣ ٦٥	
كتاب الاكرام ٣٥	
كتاب الأموال ٦٩	
كشف الظنون ٣٥	
(ل)	
ل الباب في تحرير الاسباب ١٥	
لسان العرب ٨	
(م)	
اصح الاسوية البريطانية (م) ١١	
محيط المحيط ١٥	
مختصر كتاب البلدان ٢٨ ٣٧	
مختصر نزهة المشتاق ٥٨	
(د)	
دائرة معارف القرن العشرين ١٥	
درة القوام ٧	
دول الاسلام ٤٣	
(د)	
دبل بحارب الامم ٢١	
الدبل على الرضويات ١٢	
(ر)	
رحلة ابن جبر ٣١ ٦٩	
الرسالة (م) ٥	
رسائل الصافي ٢٥	
رسوم دار الخلافة ٢٥	
(ز)	
زبدة كشف الممالك ٣٩	
(س)	
سفرنامه ٣٣	
السنن والراكب في القصور الاسلامية ١١	
السلوك لمعرفة دول الملوك ٤٥ ٤٦ ٤٧	
٥٢ ٦٨	
(ش)	
شرح درة امواس ٧	
(ص)	
صبح الاقصى ٣٢ ٣٥ ٣٦ ٣٧	
٤٥ ٤٩ ٦٦ ٦٨	

{ فهرس السكتب والرسائل (المطبوعة واخطوطة) ، والمجلات ، والمقالات }

مقدمة ابن خلدون ٦٨	مرآة الزمان ١٧ ٤١ ٦٤
منتخبات من كتاب الروصين ٤٢ ٤٣	مراصد الاطلاع ٢٨ ٣٤ ٣٩ ٥٨
المنظم ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ٦١	مروج الذهب ٢٥ ٦١ ٦٦
٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥	مسالك المالك (للاصطخري) ٢٦ ٥٧
موجر أربع عشرة العمارة ٧١	٧٣
(ن)	المسالك والممالك (لابن حوقل) ٩
النجوم الزاهرة ١٤ ١٧	المسالك والممالك (لأمير خرداده) ١٠
نحوار العاصم ١٩ ٦٠	٢٦
نهاية الأرب (لتويري) ٢٨	المشرك وصفاً والمعتري صفاً ٢٣
النوادر الساطعة (في صلاح الدين)	معجم البلدان ١١ ١٣ ٢٧ ٢٨
الأبوي ٣٤	٣٣ ٣٤ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٥٨
(د)	٥٩ ٦٣ ٦٥
وحيات الأبيات ٣٠	معجم لين (العربي الانكليزي) ١٠
الولاء والوفاء ٣٧ ٤١	مواييع العلوم ٩
	المرداد في عرب الامراء ٧
	المنتظم (م) ٣

فهرس اللفاظ الرقيلة ، والمصطلحات ، وما الى ذلك

التلذذات ٢٤	(ا)
التواني (واحدتها : التونة ، التون ،	أصحاب الأرام ١٧
التينة) ٢٤ ٦٦	أصحاب اسيارة ١١
(ص)	أصحاب الطوف ١٧
صاحب الفل ٦	(ب)
(ط)	البحر (بضم أوله وتانيه : الحامل) ٣٧
الطيارة (الطيار) ١٨	البطريق (ج : البطارقة) ٢٥
(ع)	البطس (بضم أوله وتانيه ، واحدتها البطسة)
العروب (بضم أوله وتانيه)	٢٤ ٣٤ ٤٦ ٦٧
العمارة ٢٣ ٧٣	(ح)
(غ)	اعديدي ٦٠
الغراب (سمية) ٢٩	الغراف ٢٤ ٤٠
(ق)	الغراب ٢٤
الغلابيون ٦٣	(د)
الغراب (ج : الغرابيون) ٤٨	درة (بكسر أوله وسكون تانيه) ٧٢
(ك)	(ر)
السكر ٧٢	الرساي ١٣
السكر ٧٠ ٧٢	(س)
السكر ٧٣ ٧٣	سمر (بالضمير) ١٤
(م)	السار (بالضمير) ١١
الناصرين ١٧ ١٨ ٢٧	(ش)
الرمات (واحدتها : الرمة) ٢٤ ٤٠ ٤١	إشارة (بالضمير) ١١
(ن)	إشادات ٢٠
الفاطون ١٩	

فهرس مواضيع الكتاب

الصفحة	
٣	المقدمة .
٥ - ٦	التصدير .
٧ - ٢١	الباب الأول : المآصر النهرية في العراق :
٧ - ١٠	(أ) المآصر في كتب اللغة وما إليها .
١٠ - ١١	(ب) لمآصر في كتب البلدان .
١١ - ١٧	(ج) المآصر في كتب التاريخ .
١٨ - ١٩	(د) المآصر في كتب الأدب .
١٩ - ٢١	(هـ) المآصر في كتب الادارة والسياسة .
٢٢ - ٢٣	الباب الثاني : المآصر البرية في العراق :
٢٤ - ٥٩	الباب الثالث : المآصر البحرية :
٢٤ - ٢٩	الفصل الأول : مآصر بلاد الروم :
٢٤ - ٢٨	(أ) مآصر خليج القسطنطينية .
٢٨ - ٢٩	(ب) مآصر رودس .
٢٩ - ٣٤	الفصل الثاني : مآصر بلاد الشام :
٢٩ - ٣٠	(أ) مآصر اللادقية .
٣٠ - ٣٢	(ب) مآصر صور .
٣٢ - ٣٤	(ج) مآصر عكا .

الصفحة	
٥٦-٣٥	الفصل الثالث : مآصر بلاد مصر :
٣٨	(١) مآصر دمياط .
٣٩-٣٨	(١) في كتب البلدان .
٤٨-٣٩	(٢) في كتب التاريخ .
٥٩-٤٨	(ب) مآصر الاسكندرية .
٥١	(ح) مآصر شيديا .
٥٢	(د) مآصر السويس .
٥٣-٥٢	(هـ) مآصر أشمون .
٥٦-٥٣	(و) مآصر القاهرة .
٥٩ ٥٢	الفصل الرابع : مآصر باب الأبواب .
٥٩	الفصل الخامس : مآصر المهديّة .
٧٢-٦٠	ديول البحث :
٦١ ٦٠	الذيل الأول : القُلُوس .
٦٢ ٦١	الذيل الثاني : من أخبار « البرُجمي » المبتار .
٦٣-٦٢	الذيل الثالث : قطيعة الرقيق .
٦٥-٦٣	الذيل الرابع : الذَّحْمِي .
٦٧ ٦٥	الذيل الخامس : غزو المسلمين لبلاد الفرنج .
٦٩-٦٧	الذيل السادس : الضرائب والمهور بمصر .
٧٠-٦٩	الذيل السابع : فصوص من كتاب « الأموال » .
٧٢-٧٠	الذيل الثامن : « الكسرة » هي المآصر النهري في العراق .
	(في المائة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة للبلاد) .

الخاتمة .	٧٢
استدراكات ، وتصحيحات مطبعية .	٧٣
٩١-٧٤ الممارس :	
١ - فهرس الأشخاص والأقوام .	٧٤
٢ - فهرس الأماكن والبقاع .	٨٠
٣ - فهرس الكتب والرسائل (المطبوعة والمخطوطات - ٩) .	٨٥
والمجلات ، والمقالات .	
٤ - فهرس الألفاظ الدخيلة ، والمصطلحات ، وما إلى ذلك .	٨٨
٥ - فهرس مواضيع الكتاب .	٨٩

AL-MA'ASSIR

Land and Sea Toll Barriers

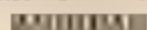


Byzantine and Moslem Empires

STUDIES IN THE ECONOMIC HISTORY OF
MOSLEM STATES

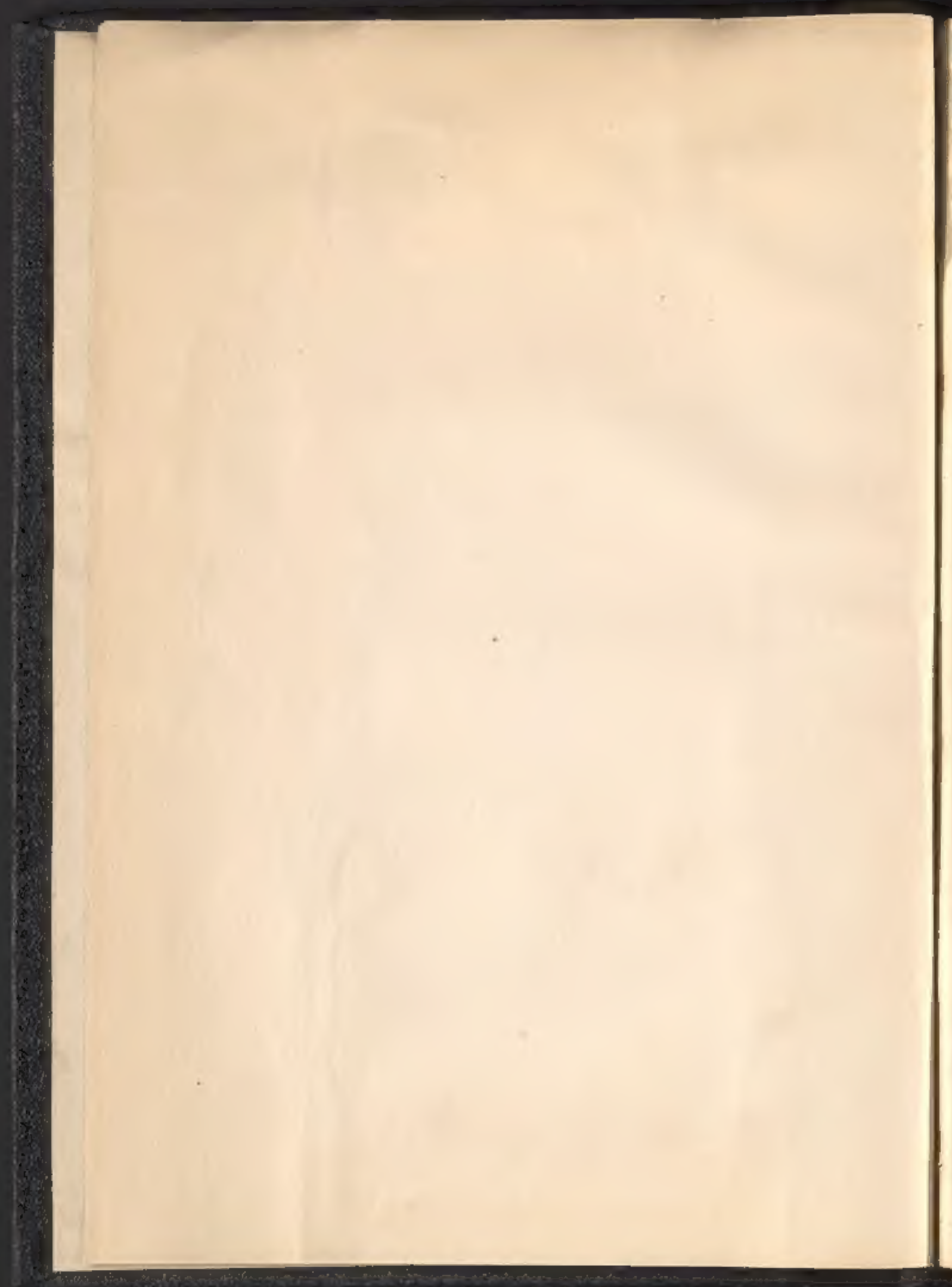
By
Michael Awad

AL-MAARIF PRINTING PRESS



1948

— 4-5



AUC - LIBRARY



DATE DUE

JUN - 1976

HE
197
I 8
A9x
1948

B12650778
I14078562



